آسيا غماري

قَسْوةِ أب

رواية

و من انا دونك يا ابي
هل لي ايعدو البحر بحراً دون ماء ؟

كتابي للنشر و التوزيع Kitabi

رواية

يا غماري
آسـ

قَسْوة أب

ل: "أحضرت لك الهدايا لتتزيّني، لكنّ التّراب تزيّن بك
تقوحتواك، أردتُ أن تكوني أجمل عروسة، لكنّي وجدتك
هذا القبر محبوسة، أخبريني أيّهما أجمل سجن أبي،
وا
القبر ؟ إن كان القبر مريحًا سوف ألحق بك. "

ISBN:978-9931-641-10-0



كتابي Kitabi للنشر و التوزيع

آسيا غماري

قسوة أب

دار كتابي للنشر و التوزيع
حي ذراع البرج الغربي رقم 6 البويرة، الجزائر
البريد الالكتروني: kitabieditiondz@gmail.com
الهاتف: 0550399545/0772389545/0665549368
ر.د.م.ك السداسي الثاني/978-9931-641-09-4

إهداء

إلى من علماني أولى كلماتي
إلى من علماني أولى خطواتي
إليك يا أحن أب عليا و على إخواتي
سقيتني لأنمو و أكبر من عرق جبينك
لقد نموت...أجل كبرت و ما خاب و لن يخيب سقياك
بك أفتخر يا أبي: يحي غماري
إليكِ يا من رآني قلبها قبل عينيها
و حضنتني أحشاؤها قبل يديها
إليكِ يا نبع الحنان أمي: بوسعادة نجية
إلى جدي العزيز: بوسعادة عبد الله
إلى عيني: سمير و رابح
إلى نبضات القلب: فايزة و صبرينة و أمينة.

مقدمة

بسم الله الرّحمن الرّحيم والصّلاة والسّلام على أشرف المرسلين سيدنا و حبيبنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد

ما من بشر في هذه الحياة إلا وحمل مشاعرا اتّجاه الآخرين سواء كانت طيّبة أم خبيثة ومن هنا تولّدت العلاقات الاجتماعيّة الّتي يكون الأصل في تميزها عن بعضها البعض متعلق بالعاطفة . وإن كان الرّابط الزّوجي مبني على المودة، والمحبة بين الزّوجين لقوله تعالى: ﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها و جعل بينكم مودّة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكّرون.﴾- سورة الروم الآية 21

ذلك ليرتوي الأبناء من كأس المحبّة الّتي تسكن البيت الزّوجية، ويغرس في أنفسهم منذ الصّغر بذور الخير والصّدق والوفاء، ليثمر عملا صالحا يحمد زارعه.

ولكن للأسف هناك أباء تجرّدوا من صفات الأبوة ليمارسوا الظّلم على أولادهم الّذين هم من أصلابهم، فكم من أب قاس اغترّ برجولته على صغاره وزوجته الضّعيفة، ليستعرض شهامته على مسرح الظّلم.

في هذه القصة كانت نورة فتاة لم تعرف شيئا من والدها سوى قسوته ، وضربه لها و لأمّها وكانت بمثابة النّور الذي لا يستطيع أحد مسكه أو التّحكم فيه، محقّقة أحلامها بكلّ شجاعة.

وفي المقابل كانت كنزة الفتاة المدللة الّتي اعتبرها والدها كنزا، أما خليل كان العاشق المحب الّذي يسعى لمساعدة حبيبته في الخفاء.

و السؤال الذي يطرح نفسه إن تجرد الأب من حنانه، هل ستبادله ابنته ذلك و تتعلم منه القسوة...؟

في أسرة فقيرة ولدت نورة وهي البنت الثّانية بعد مريم بنات العمّ حميدو، أو كما يناديه أهل الحيّ أبو البنات، ولدت في أحضان العنف و القسوة بأنواعها، منذ أن فتحت عينيها وهي تصحو على صراخ والدها على أمّها، يشتمها لاعنا اليوم الّذي تزوّجها فيه مكرها، لقد حفظت نورة قصّة زواج والديها قبل أن تحفظ أولى كلماتها، حفظت أنين أمّها و صراخها، ورضعت من ثديها حليبا ممزوجا بدموع الحزن مثلما رضعته قبلا أختها.

هكذا ترعرعت ونمت حتّى أصبحت فتاة مجرّدة من الإحساس، محرومة من الحنان، كانت مجرّد جسم يحمل صفات الأنثى، لكنّه يجسد كلّ أنواع القسوة والحرمان، لم تعرف معنى كلمة" أب" إلاّ في المدرسة، حين طلبت المعلّمة أن تنشد هي وزملاؤها أنشودة عنوانها "أبي الحنون"، كرّرت وقتها كلماتها دون أن تعلم معانيها، عندما انتهى دوام المدرسة وخرج جميع التّلاميذ، رأت إحدى زميلاتها تركض نحو والدها الّذي جاء لاصطحابها، توقفت لتراقب الطّريقة الّتي يعامل فيها الأب ابنته.

قالت الفتاة لوالدها: " يا أبي، لقد أنشدنا قبل قليل أنشودة عنك. "

فردّ الأب بعد أنْ قبلها بكلّ حبّ: " أنشديني يا صغيرتي. "

بدأت الفتاة تنشد فرحة ووالدها يضحك سعيدا، ثمّ حملها على كتفه قائلا:" يا لك من ابنة رائعة وتلميذة ممتازة! أحسنتي."

أسرعت نورة إلى البيت لتنشد هي الأخرى تلك الأنشودة، لعلّها تحضى بقبلة من والدها الذي لم يقبلها يوما، كانت تجري فرحة نحو البيت وهي تكرّر كلمات الأنشودة كي لا تنساها، وعندما وصلت وجدت والدها يصرخ كعادته، ويضرب أمّها بكلّ قسوة، يضربها بكلّ ما أتيح له من قوة، حتّى امتزج دمعها بدموعها، واختنق صوتها الممزوج بالشّهقات، اقتربت نورة و أختها لينقذاها، فضربهما أيضا وألقاهما على الأرض، بكت نورة كثيرا، وفي وسط كلّ هذا كانت تردّد في خاطرها عبارات الأنشودة قائلة: " أبي الحنون، يا أبي الحنون، يا نور المنزل، من أجلنا كم تتعب و تعمل

أبي الحنون، يا أبي الحنون، يا منبع الحب و الحنان، بوجودك كم نشعر بالأمان "

حفظتها عن ظهر قلب، وكرّرتها مرارا في جوفها، وفي ذهنها طرأ ألف سؤال لم تجد له تفسيرا ولا جوابا.

في اليوم التالي طلبت المعلّمة من التّلاميذ أن يعيدوا قراءة الأنشودة على مسامعها، لتعرف من منهم له قدرة على الحفظ، إلى أن وصل دور نورة فصعدت إلى المصطبة، صمتت طويلا و هي متجهمة الوجه مطأطئة الرّأس، استغربت المعلّمة فنورة تلميذة نشيطة لماذا لم تحفظ الأنشودة؟!

قالت لها: "هل نسيتها؟ لا بأس إن كنت لم تحفظيها كلّها، سوف نساعدك جميعا ابدئي."

قالت نورة: "أبي .... أبي..... أبي."

قالت لها المعلمة: " أجل واصلي أبي الحنون ...."

لم تنشد نورة بعدها، ولمّا ألحّت المعلّمة كثيرا، أجهشت بالبكاء لأنّها لم تستطع- ولبراءتها- أن تنشد شيئا خاطئا، فأبوها ليس حنونا، إنّما هو رجل قويّ ومخيف كثير الصّراخ، وهو ليس نور المنزل، فالأيّام في غيابه بالنّسبة لها ولأختها أجمل، حيث تعمّ

السّكينة. و لا تعرف ما هو عمل والدها، كلّ ما تعرفه أنّه يغيب أياما ثمّ يعود حاملا بعض الموادّ الغذائيّة وطحينا، فيجعل لها تاريخا محدّدا، إذا انقضت قبل ذلك التّاريخ انهال على الأمّ المسكينة بالضّرب، فيشعرن بالجوع دائما حتّى و الطّعام متوفّر، والأمّ تارة تستحمل جوع بناتها، وتارة أخرى تستحمل الضّرب لتشبعهما، أهذا هو الأب الّذي تشعر بالأمان عند وجوده؟! إنّه يخيفها أكثر ممّا يخيفها أبناء الشّوارع، الّذين يحملون سكاكين ليخيفوا الصّغار كلّ صباح، وهم في طريقهم إلى المدرسة.

كانت نورة التّلميذة الأولى لمدرسة القسوة والظّلم، فهمت كلّ دروسه من والدها، وحفظت كلّ أنين و كلّ ألم من آلام أمّها، فأصبحت فتاة تجسّد الاثنين معا القسوة و الألم، حيث تقسو على كلّ من حولها، وتسبب لهم الألم خاصّة في المدرسة، تسلب لزملائها أشياءهم وتحطّمها، تضرب من تشاء، و تحمي الضّعفاء، كأنّها تريد أن تكون الشّخص الوحيد القاسي في هذه الحياة؛ أو أن تكون المحامي والجلاد في نفس الوقت .

وفي أحد الأيام دخل الأب غاضبا كعادته فصبّ غضبه على الزّوجة المسكينة، فلوّن عينيها الجميلتين بكدماته بدل أن يهديها مستحضرات تجميل، ومزّق ثوبها البالي بدل أن يلبسها ثوبا جديدا، و أخيرا ألقاها على الأرض بعد أن بصق عليها بدل أن يرش جسمها بالعطور، فأسرعت إليها نورة لتساعدها على النّهوض، و قالت لها :" متى أكبر يا أمّي كي أستطيع حمايتك من أبي ؟ "

أجابت الأمّ وهي تمسح دموعها: " ليس كبر حجمك هو الّذي سيحميني فالمرأة ضعيفة، وأنا لا أريد أن يكون مصيرك، ومصير أختك مثل مصيري، أريدك أن تدرسي لتصبحي محامية؛ أجل محامية كي تدافعي عن كلّ مظلوم خاصة النّساء."

بقيت نورة تنظر في عيون أمّها وهي تتحدّث، فوجدتها قد رسمت لها طريق حياتها، رأت مستقبلها وأحلامها الممزوجين بالدموع، دموع الظّلم و الأسى، قرّرت أن تدرس بجد حتّى يتحقّق هذا الحلم، رغم ظروفها الصّعبة و طباعها الشّقية إلا أنّها لم تضيّع دراستها، وكانت وسط الصّراخ و الألم تحفظ دروسها، و تنجح أكثر فأكثر إلى أن تحصلت

على شهادة البكالوريا، و قرّرت أن تلتحق بالجامعة - كلّية الحقوق- في المدينة الّتي تبعد عن قريتها 65 كلم فعارض والدها ذهابها لتكمل دراستها، خاصة وأن أختها الكبيرة مريم مكثت في البيت، وكأنّها عصفور وقع في الأسر فسجن داخل قفص شائك كاتمة كلّ آمالها، ولا يترك لها حتّى مجالا للتعبير عن آلامها، وكلّ يوم يهدّدها بتزويجها أحد الشيوخ الكبار أو أحد المتسولين ليتخلص من عبئها.

خافت نورة كثيرا من المصير الّذي ينتظرها، أصبحت ترى أحلامها على مصطبة الإعدام تنتظر أن ينفذ عليها الحكم، وبدل أن يفرح والدها بنجاحها و يقيم لها حفلا كباقي زميلاتها، يفاجئها بالسّجن في البيت بعد سهر و تعب، ويقول لها:

"هل تحصّلت على البكالوريا؟ شكرا هيا مزّقي شهادتك، وانزعي عنك المئزر لتضعي مئزر المطبخ، وساعدي أمّك وأختك في أعمال المنزل، حتّى أجد لكما أزواجا وتذهبا بعيدا، كي أرتاح من وجودكما في حياتي."

لم يبالي بفرحها و لا بحزنها، و كان يجهل وطأة كلامه على قلبها، فقد طلب منها تمزيق جسمها لا

الشّهادة، الّتي تعبت لنيلها ليال طويلة من السّهر، تنظر إليه باكية، بينما هو يحاول محو أحلامها بكلّ بساطة و يقرّر مصيرها عنها، وهي ملزمة بالصّمت فالحديث معه لن يجدي شيئا سوى الضّرب، فاكتفت بالبكاء.

علم أساتذتها وأهل الحيّ أنّها لن تلتحق بالجامعة بسبب والدها، وأجمعوا على محاورته ليغيّر رأيه، ففتاة كنورة كيف تدفن بين جدران المنزل؟!

اجتمعوا مساء في بيتها، ولكثرة إلحاحهم عليه تحجّج بالمصاريف، والتّكاليف الجامعيّة الباهظة، فقرّروا جمع المبلغ لتكمل الفتاة دربها، وتحقّق أحلامها وتصبح معلّمة، أو محامية فيفتخر الحيّ كلّه بهذه الثّمرة الطّيبة.

وافق أبو نورة على إرسالها أخيرا، خاصّة وأنّه لن يساهم في رسوم التّسجيلات، ولا في مصاريف دراستها، كان ذلك قاسيا عليها إلاّ أنّها فرحت كثيرا، وشعرت بامتنان كبير لهؤلاء الّذين قدّموا إليها المساعدة، الّتي رغم بساطتها في نظرهم، إلاّ أنّها اعتبرتها سلّما للصّعود إلى أحلامها كي تحقّقها، أو

كأنّهم وضعوا لها أجنحة لتتحرّر من عبودية والدها، وتطير بعيدا لترى ما يوجد وراء قريتها من حدود، وتكسر من يديها كلّ القيود، قيود الظّلم والاستبداد، قيود الجوع والاضطهاد.

دخلت نورة كلّية الحقوق وفي عينيها أحلام عظيمة، رسمت عليهما فزادتهما جمالا، كانت واثقة من نفسها عكس اللّواتي يخفن من الجامعة أن تغيّر سلوكهنّ، ويخفن من تلاعب الشّباب بمشاعرهنّ، أو مخالطتهنّ لبنات السّوء فيجروهنّ إلى الهاوية، لم تخف أبدا لأنّها قد ذاقت جميع أنواع القسوة من والدها، وإن كان الأب الحنون قاسيا عليها وعلى أمّها و أختها، فهي لا تنتظر حبّا و لا حنانا من شخص آخر، كانت قاسية هي الأخرى في معاملتها مع الجميع، وخاصّة الرّجال هم في نظرها مجرّد أجسام قويّة، يستعرضون كلّ قوتّهم على الضّعفاء من النّساء و الأطفال.

كان عدد صديقاتها قليلا جدّا، لأنّها بالنّسبة إلى البعض هي مخيفة بملابسها الّتي تتشبه فيها بالصبيان، وبنظراتها الحادة الّتي تجعل رموشها الطّويلة كأنّها سيوف مسلولة في وجه أي نوع من

الظّلم أو القسوة، ولكن من يمعن النّظر في عينيها، يجد كنزا من الحنان مخبأ في داخلها ينعكس على معاملتها لكلّ مظلوم صادفته، فتصبح مدافعة عنه بكلّ ما أتيحت من قوّة، فكانت معظم صديقاتها هنّ اللّواتي دافعت عنهنّ يوما، هنّ الوحيدات اللّواتي تعرفن طيبة قلب نورة الّتي لا يعرفها أحد حتّى نورة نفسها.

جلّ ما كانت تعرفه أن كلّ مظلوم في هذه الأرض هو جزء من مأساة والدتها، الّتي تريد إزالتها و إلى الأبد من قلوب كلّ النّاس، كانت دائمة التّجوال في أوقات فراغها لتتعرّف على أنماط البشر، وتكثر التّحديق في كلّ شيء يقع عليه بصرها في الطّريق ،فيحكم عليها البعض على أنّها نوع من التّشرد، و البعض الآخر يقول مجنونة من كلّ قيم الأخلاق تجرّدت، وإنّما هي تائهة بفكرها تقارن بين الحزن المستقر في منزلها الكئيب، و بين السّعادة المنتشرة في فناء كلّ بيت تراه و هو يعكس دفء المشاعر السّاكنة فيه، والضّحكات المتعالية بين أسرة صغيرة - من أب وأم وأطفال صغار- خرجوا للتّنزه ممسكين بأيدي بعض، وجدت

في مقارناتها العديد من الاختلافات، ولكن في ذهنها ألف سؤال لم تجد له جوابا، أرادت أن تصرخ بأعلى صوتها سائلة كلّ شيء حتّى الزّهر و الحجر، وحتّى المباني الصّامتة قبل البشر قائلة : "لما هذا الاختلاف ؟ لماذا أبي ليس مثل هؤلاء، هل الفقر هو السّبب؟ لا أظن ذلك... فحتّى البيوت القصديريّة الّتي رأيتها يفوح منها عطر السّعادة والفرح، ما السّبب إذن...؟ " ولكن لم يجبها أحد، لن يجد جوابها إلاّ ذلك الوالد القاسي، فكتمت نورة كلّ أحزانها في صفحات فؤادها الجريح المختبئ عن عيون كلّ النّاس، فهي لا تحب أن يشفق عليها أحد، ولا تبدي دمعها لأيّ كان كي لا يبرز ضعفها.

في أحد الأيام وبينما كانت نورة تتجوّل كعادتها، صادفت فتاة في سنّها تعرضَ لها شاب بعد أن تعقّب أثرها ليحاصرها في أحد الممرات الفارغة، عندما أحسّت الفتاة بصوت أقدام الشّاب يرتفع تارة، وينخفض تارة آخرى، اتّصلت بأخيها لتخبره بما تحسّ، وما إن ذكرت له اسم المكان، باغتها الشّاب و حطّم هاتفها، وقبل أن يلمس شعرة منها، كانت نورة قد ألوت ذراعه و ضربته على رأسه بقوة

لتسقطه أرضا مغشيا عليه، وكأنها تنقضّ على والدها لتنقض أمّها، فحمت تلك الفتاة من أنياب ذئب بشريّ أراد استعراض قوّته على مسرح ضعفها كأنثى.

أعجبت الفتاة بقوة وشجاعة نورة وعجزت عن شكرها، فأخرى مكانها كانت قد تلوذ بالفرار، أو تكثر الصّراخ دون جدوى، ابتعدتا عن تلك المنطقة بسرعة، قبل أن يصحو الشّاب أو يراهما أحدهم فتقعا في مشكلة هما في غنى عنها. بينما هما تمشيان كانت نورة تسترق النّظر إلى الفتاة و لاحظت كم هما مختلفتين، وكأنهما قطعتان نقديّتان، إحداهما من فضة و الأخرى من ذهب فتلك الفتاة كانت جميلة جدّا، وبدا جليا أنها من عائلة ثريّة، مرتدية أثمن الملابس و أجملها، لكن رغم هذا الاختلاف شعرت نورة أنّها تعرفها، سألتها عن اسمها فقالت : " اسمي كنزه .... وأنت ما اسمك؟ " أجابت : " نورة ... هل تدرسين أنت أيضا في الجامعة أشعر أنّي أعرفك؟ " قالت كنزه : " أجل أنا طالبة في كلّية الطّب . " فجأة توقفت أمامهما سيارة فخمة، نزل منها شاب وسيم هرع إلى كنزه

ليسألها عن حالها قائلا: " هل أنت بخير؟ أين ذلك الشّاب الحقير، الّذي أراد إيذاءك سوف أحطّم رأسه ؟ " أجابته كنزه : " هدئ من روعك يا أخي، لقد أنقضتني نورة، أعرفك بها إنها طالبة في الجامعة." فرح الشّاب لسلامة أخته، واقترب من نورة مادّا يده ليصافحها شكرا و عرفانا لمساعدتها فرمقته بنظرتها الحادّة، رفضت مصافحته و قالت: "ما فعلته هو جزء من هدفي في هذه الحياة، وهو حماية الضّعفاء. " همّت بالمغادرة، فحاولت كنزة إيقافها لتتعرف إليها أكثر، وطلبت أن يوصلاها إلى الإقامة الجامعيّة لكنها رفضت. ظلّ الشّباب ينظر إليها وهي تغادر، مستغربا كيف لهذه الفتاة أن ترفض مصافحته ! ، و هو ذو وسامة لا تقاوم، بعد رحيلها طلب من أخته أن تحكي له كلّ ما حدث، وكيف أنقضت تلك الفتاة حياتها ؟ فروت له كلّ القصّة، وهما في طريقهما إلى البيت، أما نورة كانت تمشي متّجهة إلى الإقامة، و هي تفكر في خوف الأخ عن أخته الصّغرى، وكيف أسرع إلى انقضاها، فقالت في نفسها: " يا له من شعور جميل حين يكون للبنت أخ مثله، يا ترى لو كان لنا أخ هل

سيبدّد وجوده قسوة أبي ؟ فهو لطالما كرهنا لأنّنا بنات، لا بدّ أنّه يكره الإناث كثيرا، ووجود ولد كان حتما سيخفّف كرهه لنا وخاصة أمّي ."

هكذا كانت تمرّ الأيّام على نورة، ما من شيء إلاّ و قارنته بأسرتها الحزينة، حتّى عندما تذهب لتناول وجبة الإفطار أو العشاء كانت تتذكّر أختها، فتنسدّ شهيتها تارة، وتأكل -من شدّة الجوع- بألم تارة أخرى، كأنّها تريد مشاركتهما الجوع حتّى عن بعد، وإذا سمعت صراخ إحدى الفتيات -أثناء المزاح أو بسبب مرض ما-تتذكر صراخ أمّها، وتسأل نفسها في ألم: "هل أمّي الآن تصرخ ألما ؟ هل ضربها اليوم فأخذت نصيبها كالعادة، أم أنّها أعفيت كي يرتاح جسمها، ويطول عمرها فيتسنّى لأبي ضربها عمرا طويلا؟ " و في كلّ ليلة كانت تصحو فزعة من نومها، بعد أن يسترجع ذهنها إحدى الكوابيس الّتي عاشتها في حياتها من ألم وحزن و بكاء....فتعيدها وكأنّها تعيشها من جديد، لكنّها تحاول إبعاد تلك الذكريات عن ذهنها، ولكي لا تعاود رؤية الكوابيس تبدأ بمراجعة دروسها ما تبقى من اللّيل حتى بزوغ

الفجر، فكان هذا سرّ نجاحها، و لربّما كانت الكوابيس حافزا لتحقّق أحلامها .

بحثت كنزة في اليوم التّالي عن نورة كثيرا، وقد صعب إيجادها خاصّة وأنّها لا تعرف اسمها الكامل، ولم تأخذ رقم هاتفها، ولم تسألها عن الكلّية الّتي تدرس فيها إلى أن حلّ المساء، التقت بها صدفة، فرحت كنزة كثيرا فهي ترغب بشدّة أن تكون صديقة لهذه الفتاة المميّزة و القويّة، ما إن لمحتها انهمرت عليها بالأسئلة، كي لا يصعب عليها إيجادها مرّة أخرى فقالت لها نورة :" لا تحتاري كثيرا ستجدينني صباحا في كلّية الحقوق، ومساءً في الحديقة العامة ما من مكان آخر أذهب إليه." ردّت عليها كنزة : " أنت تدرسين لتصبحي محامية ؟ لاشكّ أنّك ولدت محامية، عكسي تماما؛ فأنا أدرس الطّب رغم أنّني أكره الدّماء، ولكن أبي أصرّ على دراسة الطّبّ، كنت أودّ ترك الدّراسة لأتزوّج، وأنجب الأطفال فقط. " قالت نورة : " ماذا ؟ أردت المكوث في البيت ! - يا للصّدفة أنا عكسك تماما، حاربت و بكيت كي أكمل دراستي، و والدي هو السّبب كان يريد أن يحبسني في البيت. "

أجابت كنزة: "أنت فتاة طموحة، ويبدو أنّك ستصبحين محامية رائعة، وناجحة تنشرين الأمان و العدل أينما ذهبت." ردّت نورة بصوت حزين : " لا أريد شهرة ولا مالا، أريد فقط الإشراف على قضيّة طلاق . "سألتها كنزة محتارة : " طلاق ...! - طلاق من ...؟" أجابت: "طلاق أمّي من أبي ." شعرت كنزة بالدّهشة، وظنّت أنّ نورة تمازحها، ولم تعرف أنّها قد باحت لها بحلم حياتها الّذي لم تبحه به لأحد من قبل، ولم تشأ كشف أحزانها و أسرارها للغرباء، وحتّى لصديقاتها فهي لا تحبّ الشّفقة من أحد. لكن كنزة بدأت تروي قصة حياتها، وكلّ تفاصيلها الصّغيرة و الكبيرة، خاصّة عندما رأت من تحكي لها تصغي إليها بهدوء، لم تكن تعلم أنّ تلك المصغية في داخلها ألم يأخذ قيلولته و سوف توقظه بقصصها، جلّ كلامها كان يتعلق بأسرتها السّعيدة الّتي تتكون من أبوين رائعين، وأخوين كبيرين، وهي الفتاة الوحيدة والمدلّلة عند الجميع، لا أحد يعارض رأيها أو يحرمها من شيء، يشتري لها والدها أثمن الأشياء، ركّزت نورة معظم أسئلتها حول الأب لترى إن كان والدها يشبهه، فوجدتها تحكي عن الأب

الحنون الّذي ألّفت من أجله الأناشيد، و ينشدها التّلاميذ و الأبناء في كلّ عيد، شعرت بالحيرة فكلاهما أب، فكيف يكون أحدهما قاسٍ والآخر حنون، تمنّت أن يكون لها أبٌ مثل والد كنزة ليستبدل تلك القسوة الّتي أطعمهم منها علقمًا ومرارةً بحنانٍ وحبٍّ.

كانت نورة تعتقد أن جميع الآباء يحملون نفس الصّفات، ورسمت لهم في مخيّلتها صورة طبق الأصل عن والدها، لكن كلّ ما عرفته في الطّرقات و شوارع المدينة الّتي تدرس فيها، وكلّ ما سمعته عن أبي كنزة جعلها تشعر أن الرّجل كائن يمكن التّعايش معه دون خوف، أو بالأحرى صار الآباء في نظرها نوعين، و كانت كلما التقت برجل سألت نفسها: " هل هذا من صنف أبي أم هو من صنف أبو كنزة؟ "

توطّدت العلاقة بين الفتاتين، فقد أحسّت نورة بقرب كنزة تتحسّس دفء الحنان الّذي لم تشعر به أبدًا ولم تتذوّقه يومًا، أمّا كنزة فقد كانت تشدّها قسوة نورة وقوّتها، ويعجبها أكثر تمردها على كلّ القوانين والضّوابط، التقتا كثيرًا وفي كلّ مرة كانت كنزة كثيرة الكلام عن حياتها، أمّا نورة صامتة تسبح

في الخيال، كأنها تتنكر بدور كنزة لتعيش النّعيم، ولو مرّة في حياتها حتّى ولو في الأحلام.

كانت تستغرب من الاختلاف الكبير بينهما، فقد كانت هي رمز الفقر، وعنوانه بملابسها البالية الّتي تصدّق بها بنات الجيران لها ولأختها، وبوجهها الكئيب الّذي مرّت عليه حروب الأسى، فأحدثت فيه ندوبًا، فأضحى كقريةٍ خاليةٍ دمّرتها معركةٌ عابرةٌ، وفي عينيها صراع دائم بين أحلامٍ تريد أن تتحقّق، وبين كوابيسِ رأتها في حياتها كثيرًا حتّى استقرت، وكأنّها لا تريد من نورة ألا ترى سواها. بينما كنزة غنية و أنيقة، في صوتها أغنية فرح، سمعتها نورة أول مرة في حياتها، وفي عينيها ضحكاتٌ منتشرة، كأنّ لا شيء يشغلها ذهناها سوى اللهو و المسامرة، رغم الفارق الكبير بينهما، إلاّ أنّ الصداقة وجدت إلى قلبيهما طريقًا، وكانت كلّ واحدةٍ تفرح بلقاء الأخرى.

في أحد الأيّام التقتا بذلك الشاب الوسم - أخو كنزة - ألقى التّحية عليهما، ثم ابتسم لنورة وسألها عن حالها أجابت : " بخير. "، وهي محتارة من تلك الابتسامة المجّانية الّتي قدمها إليها . قالت كنزة

لأخيها :" هذه نورة منقضتي. " قال: " كيف لي أن أنسى بطلة مثلها؟ " ، وواصل توزيع الابتسامات، ولكن نورة نظرت إليه نظرة حادّة و كأنها سلت سيوف عيونها في وجهه لتبرز له مدى قوّتها. قالت كنزة : " نورة هذا أحنّ أخ في هذه الدّنيا، إنّه فؤاد طالب في كلّية الهندسة، وهو في السّنة الأخيرة، بعد تخرجه سيساعد والدي في عمله. " حاولت نورة أن تبتسم له فلم تستطع، وقررت تركهما والذّهاب لتبحث عن عمل تستطيع براتبه اقتناء حاجيّاتها، ففي هذه الحياة الباهظة التّكاليف لا يوجد من تعوزه فتجده ليحقّق لها كلّ ما تطلبه مثل صديقتها كنزة. عرض فؤاد على كنزة ونورة أن يأخذهما في نزهة إلى أحد المعارض الّتي تم افتتاحها، رفضت نورة وقالت: "إلى اللقاء كنزة أراك غدا يا صديقتي. " غادرتهما وكلّها ثقة بنفسها، وقوّة في خطواتها. قال فؤاد لأخته: "يا لها من فتاة مميّزة! إنّها لا تشبهك في شيء، فكيف لكما أن تصبحا صديقتين في وقت قصير؟" أجابت كنزة: " إنّها تصنع أسوارا من القسوة لتحمي قلبها الحنون، والدّافئ من أي غزو، إنّ في صوتها أنين يروي

قصّتها الحزينة، رغم كتمانها وعدم بوحها إلاّ أنّه أنين صادق ارتوى من كلّ أنواع القسوة، يا ليتني أستطيع فهمها أكثر، يا ليتها تحكي لي لعلّي أستطيع مساعدتها."

شعر فؤاد بالحيرة فلأوّل مرّة يرى أخته الحيويّة تحكي بنبرة حزن على تلك الفتاة الّتي بنت معها بيت صداقة في غضون أيّامٍ قليلةٍ، فجعلته حتّى هو يتمنى فهمها لعلّه يعرف سرّ تميّزها عن باقي الفتيات، لم يكن يعرف أنّ تفكيره فيها سيستقر في ذهنه، ولن يفارقه أبدًا.

بحثت نورة طيلة المساء في المكاتب والعيادات والمحلات عن عملٍ بسيطٍ، ولو بأجرٍ زهيدٍ، فقد انتهت النّقود الّتي جمعها لها أساتذتها والجيران، وأضحت لا تملك فلسا لشراء قلم أو دفتر. لم يقبل أحد توظيفها لكنّها لم تستسلم، واصلت البحث حتّى أنهكت قواها. وعندما وصلت إلى إحدى العيادات الخاصّة متعبة وكئيبة، اصطدمت بأحدهم عند الباب، فسقطت أرضا ليس من شدّة الاصطدام، وإنّما من تعب الأيّام، سقطت مغشيا عليها، وكأنّ جسمها تعب منها، سقطت كأنّها ورقة خريف، مجرّد

نسمةٍ بسيطةٍ تجعلها تطير بعيدًا، همّ جميع من في العيادة لمساعدتها.

أدخلوها إلى غرفة الطّبيب، وللصّدفة كان الطّبيب هو من اصطدم بها، شعر بالرّعب والارتباك، فلطالما جاء إليه المرضى ليشفيهم، لكن هذه الفتاة جاءت سليمة فكاد يقتلها. حاول جعلها تفيق من غيبوبتها الّتي احتضنتها وقتًا طالبة ًمنها الرّحيل بعيدًا، حيث لا يوجد حزن ولا دموع إلاّ الرّاحة الأبديّة لتنتهي هذه القصّة الحزينة لكنّ الطّبيب منعها وأرجعها لتسمعه يقول لها : "مازلت صغيرة، لا تيأسي فأنت لا تعرفين ما تخبئه لك الأيّام." أفاقت نورة أخيرا على تنهيدة خرجت من أعماقها، كاد لهيبها يحرق وجه الطّبيب الّذي كان يفحص قلبها، فبدل أن يسمع له دقات، سمع له آلاما وآهات، عندما فتحت عينيها نسى كلّ ما درسه في الطّب لحسنها و جمالها، وهي في حالة مرض لأوّل مرة يرى مريضا يغازله المرض فيزيّنه أكثر، فاحتار هل يعالجها أم يرسم جمالها؟ سألها عن موضع الألم، وإن كانت مصابة بمرض ما لعلّه يجد له دواءً. فأجابت: " أيّ ألم من آلامي تريد ؟ ألمي الدّاخلي المختبئ الّذي لا

يستطيع أحد معرفة حرارته، أو إيجاد علاج له، أم ألمي الجسمي الّذي لا أشعر به فهو كوخز إبرة مقارنة بألمي الأوّل؟" سألها الطّبيب أن تكمل لعلّها ترتاح فألمها الدّاخلي لا بدّ من خروجه ليراه ويتحسّس نبضه، لكنّها هربت إلى جزيرة الكتمان كعادتها، ولم تواصل الحديث عن آلامها وأحزانها، وأخبرته أنها متعبة من السّير والبحث عن عملٍ في بيئةٍ لا تؤمن إلا بالشّهادات، وهي مجرّد طالبة في بداية الطّريق لا تريد سوى عمل بسيط كي تستطيع إكمال دراستها. فقال لها: " دعيني أصف لك دواءً لضعف جسمك، ولا تخافي فانّ عملك عندي. "
فرحت نورة ونست كلّ وجعها ، فحاولت النهوض قائلة : "ماذا أعمل أنا مستعدّة ؟ " قال لها : " حسنا ، تعالي كلّ مساءٍ على السّاعة 16:00 ، بعد ذهاب المرضى نظّفي العيادة، و أعيدي ترتيب أشيائي." وافقت دون تردّد، فضحك وقال: " وماذا عن الأجر كم تريدين؟ " ـ قالت: " القليل فقط، فأنا لا أطمح من خلال هذا العمل إلى الثّراء، وإنّما لأشتري كتبًا و أقلامًا، وأشتري طعامًا.........سوف أرضى بالأجر الّذي تقترحه، و أبدأ اليوم إن شئت ؟ " ـ قال: "

لا تبدئي اليوم، اشتري الدّواء، وحاولي أن ترتاحي، وغدا إن شعرت بتحسّن باشري العمل " قدّم لها الوصفة الطّبية، مسكتها فرحة وهمت بالخروج. ـ ناداها قائلا: "هل لديك المال لتشتري دواءك؟" ـ أجابت: " لا مشكلة أعلم أنّي بخير، فكم من وصفة لي ولأختي رميت دون دواء، وكأنّ أبي يكتفي بحبر قلم الطّبيب دواءً لنا." ـ قدّم لها نقودا وقال: " خذي هذا المبلغ، واشتري به ما تريدين وخاصّة الدّواء. " ـ قالت : " لا ..لن آخذه شكرًا، فأنا لا أقبل أيّة مساعدة أو شفقة من أحد لهذا أسعى لإيجاد عمل . " قال: " ومن قال لك أنّه شفقة؟ إنّه دفعة مسبقة، إن لم تأخذيه سأطردك من العمل قبل بدئه." ضحكت نورة لأنّها عاجزة عن الرّفض أمام حيل الطّبيب، وكذا احتياجها الشّديد للمال، فوافقت وفي عينيها ألف شكر لم تستطع التّعبير عنه، لأنّ هذا الطبّيب فتح لها بابًا تعبر منه لتحقيق أحلامها بعدما أحبطها اليأس لتسقط مريضة في عيادته.

غادرت إلى الإقامة الجامعيّة، وفي طريقها اشترت ما كان يلزمها من الأشياء بالرّاتب المسبق - أوّل

راتب تأخذه في حياتها - ولم تشترِ الدّواء لأنّها متعوّدةٌ على مقاومة الألم والتّعب، فرحت فرحةً مؤقتةً، فقدت طعمها عندما خطر ببالها أمّها وأختها المحبوستان في سجن والدها بعيدًا في القرية، قالت في نفسها: " آهٍ، لو كنتما معي لاشتريت لكما طعامًا وهدايا، لكن أعدكما بشرفي، سيأتي يوم أحقّق لكما جميع أحلامكما، وأحرّركما من القفص الّذي حبسكما فيه أبي. "

صار وقت نورة ضيقا؛ حيث كانت تحضر جميع المحاضرات، و السّاعات التّطبيقية في اليوم، ثم تتوجّه إلى العيادة لتعمل كلّ مساء، ممّا جعل الأيّام تمرّ بها مسرعةً، وأصبحت الأحزان لا تجد وقتًا لمغازلة عينيها الجميلتين، أو تحطيم حسّها المرهف، أو التّسلل إلى قلبها لتنقص من معنوياته، حتى في اللّيل كانت تسهر لمراجعة دروسها، وتحضير البحوث إلى أن تغفو من شدّة التّعب، فتنام بين أحضان أحلامها، متفائلة بما تخفيه لها الأيّام، وكأنّها تريد من الزّمن أن يمرّ مسرعًا مثل المنام.

بحثت كنزة عنها كثيرا في الكلّية، و في الحديقة العموميّة فقلقت لغيابها المفاجئ، حتى التقت بها

صدفة، سألتها عن حالها، وكأنّها لم ترها سنينا، احتارت نورة من تلك اللّهفة الّتي أحستها في سؤال كنزة، وذلك الشّوق الّذي لم تعرفه من بشر، روت لها ما حدث معها، وأنّها قد وجدت عملًا تسترزق منه، وتعين نفسها فغضبت كنزة منها وقالت لها: "لماذا لم تخبريني أنّك بحاجة إلى النّقود ؟ أتركي العمل سوف أساعدكِ، أنا صديقتك وما نفع الصّديق، إذا لم يساعد صديقه وقت الضّيق ؟ " رفضت نورة وقالت لها : " لا أحتاج شفقة من أحد، و أنا جد سعيدة بعملي هذا، شكرًا يكفيني حبّك و شوقك لرؤيتي."

ـ حضنتها كنزة وهي تقول لها : " لا تقطعي أخبارك عنّي."ثم تركتها وذهبت ، لكن نورة صدمت من ذلك الحضن الدّافئ الّذي سرقها من أحضان البرد لينعشها، وغمرها بكلّ ما أتيح من قوّة، شعرت أنّ من حضنتها هي أختها الكبرى مريم، الّتي اشتاقت إليها كثيرًا، أدركت معنى الصّداقة في حضن كنزة ...نعم الصّداقة الّتي تجعل طرفين يرتبطان بالمشاعر الصّادقة، فيصبحان كأنّهما ذوات رابط دمويّ، هذه الصّداقة الّتي لم تؤمن بها من قبل، فبوجود القسوة و الكره في قلب من أنجبها لهذه

الحياة، جعلها لا تتوقّع شخصا غريبا قد يحبها أكثر من أبيها.

خصصت نورة وقتًا تلتقي فيه بكنزة فتتسامران، كانت تجعلها تضحك كثيرا على أحلامها الجنونيّة، فبدل أن تدرس لتصبح دكتورة، تنتقي أسماء الأطفال كي تسمّي أبناءها، وكلّ شاب تراه تفكّر فيه كزوج، وتقوم بتخيل صغارها معه، وعندما لا يعجبها الأمر تصرخ، وكأنها تحاول طلب الطّلاق ثم تقول لنورة : "لا بد أنك ستصبحين محاميتي الخاصّة الّتي تتولّى جميع قضايا طلاقي."

كانت كنزة تنشر المرح و السّرور في حياة نورة، وكأنها ضباب حجب عنها طريق قريتها، ومحا كلّ أثر لأحزانها و أيّامها الكئيبة، فتحملها على أجنحة أحلامها البسيطة، وتطير بها بعيدًا إلى عالم لا يوجد فيه إلا الفرح، والفرح، والفرح وعالم مزيّن بالورد، فيه شتاء بالا برد، وصيف عن ضياع حرّه ينادي و يرتد، ألوان جميلة خاصمت السواد، لأنه على القلوب الطّيبة يحاول نشر الاستبداد، عالمٌ كلّما

دخلت إليه نورة نست الوقت، وأرادت أن يمرّ و لأول مرّة ببطء.

سيطرت كنزة على مشاعر نورة حتّى جعلتها تبوح بكلّ أسرار قلبها، وتحكي لها كلّ ما ذاقته من قسوة، وهي تصغي صامتةً محاولةً إخفاء دموعها عن صديقتها الّتي لا تحب أيّ نوع من أنواع الشّفقة، قد احتارت كثيرا من هذا الأب، وطرأ بذهنها ألف سؤال عن سبب تلك القسوة، ولكنّها خافت أن تجرحها أو تقاطع حديثها، فضلت أن تتركها تحكي لترتاح، فقد انتظرت طويلًا تحرّر الحزن الدّفين في عينيها، ولا تريد ها الآن أن تصمت، وكانت كلّما توقّفت أردفت آهات أحدثت في قلب كنزة ألما فضيعًا. فقالت لها: " ابكي يا نورة إن أردتي البكاء، فهو شفاءٌ للقلوب الحزينة، أعرف أنّ بكاءك لن يطفئ النّار المشتعلة في فؤادك، فمجراها وللأسف على خدودك. "بكت نورة و لأول مرة أمام بشر، فقد كانت دموعها لا يراها إلا الظّلام ،ارتاحت قليلا، ولكن كنزة حملت نصيبا من الأحزان معها إلى البيت، حكت مأساة صديقتها إلى أمّها و أخويها، فتساءلوا عن سبب هذه القسوة وهم

مشفقين على حال تلك الفتاة، حمدوا الله على الأب العظيم الّذي حظوا به، وما إن دخل المنزل أسرعت إليه كنزة لتحضنه، كأنّها خافت أن يُستبدل حبّه وحنانه بقسوة والد نورة أثناء غيابه، حضنته لترى إن كان قلبه ينبض بشدّة ككلّ مرّة تحتضنه فيها، سألها عن سبب العناق الطّويل، وإن كان أحدهم قد أزعجها في غيابه، فحاولت أن تحكي له لعلّه يستطيع مساعدة صديقتها، لكنّ أمّها قاطعتها و طلبت منها ألاّ تتعب والدها بهموم النّاس وأحزانهم، بعد أن جاء متعبا من العمل، وطلبت مساعدتها في تحضير مائدة العشاء، وعندما اجتمع الجميع و بدؤوا تناول الطعام شردت كنزة بتفكيرها في نورة، وتمنت لو أنّها تعيش معهم فالمنزل كبير.

- وقالت في نفسها: "لو أنّ نورة خلقت أختًا لي، لكانت سعيدة في حياتها مثلي." عندما انتهى العشاء، اقترحت على أمّها فكرة مكوث نورة في منزلهم بدلًا من الإقامة الجامعيّة فهي تشعر بالوحدة. - أجابت الأمّ: " هل جننت؟ كيف تجلبين فتاةً غريبةً لتسكن معنا ولديك إخوة شباب؟ أحضريها كزائرة متى شئت سنعاملها بلطف،

ونحاول مساعدتها" اقتنعت كنزة برأي أمّها، وعندما التقت بنورة طلبت منها الذّهاب معها إلى البيت لتناول الغداء، والتّعرف على والدتها، خجلت نورة كثيرا فهي لم تزر بيتًا غريبًا من قبل، لكنّها طلبت من كنزة أن تعفيها ذلك اليوم، وتؤجّله إلى يوم آخر شريطة ألّا يكون والدها موجودًا، احتارت كنزة من ذلك الشّرط.

ـ فقالت نورة: "أنا آسفة يا كنزة لا أقصد الإساءة، أنا فقط أخاف من كلمة أب، أخاف أن يُرسم شبح أبي على وجه أبيك فأجزع، لا أريد من عائلتك الكريمة أن تزعجها تصرّفاتي، أعرف أنّ والدك حنون، ولكنّني خائفةٌ جدًا ." ابتسمت كنزة وقالت: "لا بأس ... إنّي أفهمك، سوف أختار يوما يكون فيه أبي في رحلة عملٍ كالعادة. "

بعد أيّام قليلة كرّرت كنزة عزومتها لنورة، أخبرتها أنّها سوف تنتظرها على السّاعة 11:00 عند باب الجامعة لتأخذها.

أسرعت نورة إلى العيادة الّتي تعمل فيها، وطلبت من الطّبيب خليل أن يدفع لها أجرها، قدّمه لها مباشرة، ودّعته وخرجت ثم رجعت مسرعة لتسأله

نوع الهديّة الّتي يأخذها الضّيف إلى صاحب المنزل.

- ضحك وقال لها:" هل أنت ذاهبة لزيارة أحدهم ؟ ." -قالت: " أجل... أنا مدعوّة لتناول الغداء في بيت صديقتي." -قال لها: " حسنًا، اشتري علبة شوكولاطة كبيرة، وباقة ورود إذا كان يناسبك سعرهما، هل تريدين المزيد من المال ؟ "

-أجابت: " لا شكرًا، سأشتري وأذهب، أنا سعيدة جدًا بهذه الدعوة، وداعًا دكتور ." ضحك خليل بعد مغادرتها وقال: " آه يا نورة لو تعلمين كم أنّ ضحكتك جميلة، تسلّلت إلى قلبي، أين كنت تخفينها ؟ لم أرها من قبل ....."

أسرعت نورة إلى باب الجامعة بعد أن اشترت ما نصحها به الدّكتور خليل، لتجد كنزة تنتظرها، وبينما هما تمشيان في طريقهما إلى موقف الحافلة، باغتهم فؤاد بتوقّفه في منتصف الطّريق، لقد تغيب عن الدّرس كي لا يفوّت تلك الضّيافة، لا بدّ له من ممارسة أساليب الصّيد على هذه الفريسة المميزة، والّتي لم تنتبه إلى وسامته، صعدتا إلى السّيارة، وكعادته سأل عن حالها، وهو يرمقها بالابتسامات والنظرات الغريبة، وكأنّه يكتب لها قصائد غزل،

وهي أجابته دون أن تنظر إليه حتّى، فأصبحت قصائده تتمزّق برموشها قبل أن تقرأها. وفي غضون خمسة عشر دقيقة وصلوا إلى بيت فخم جميل المدخل، محاط بحديقة من الأزهار والنّرجس والياسمين. نظرت نورة إلى باقتها وقالت في نفسها:" ما الفائدة من هذه الباقة، إن كانوا يملكون حديقة ورود يا لها من فكرة عظيمة يا خليل ! ." نزلوا من السّيارة فاستقبلتهم أم كنزة ، كأنّها ملاك اجتمع فيه الحسن والجمال والأناقة، لقد أبهرتها بابتسامتها السّاحرة الّتي تشبه ابتسامة فؤاد . شعرت بالإحراج في وسط ذلك الاهتمام، ولم تستطع التّعبير عن امتنانها. أعجبها المنزل كثيرًا من الدّاخل وشدّها أكثر دفؤه المفقود من منزلها، دفء المودّة والمحبّة، شعرت نورة بالاختلاف الكبير بين البيتين، لكن لو طلب منها أن تختار أحدهما، لاختارت بيتها الوضيع، واستعارت دفء بيت كنزة، فهي لا تخجل من كونها فقيرة، ولا يزعجها بيتها المهترئة جدرانه، إنّما تخجل من برود المشاعر فيه، كأنّه ثلّاجة بردت عليهم فجمدت جميع العواطف في قلوبهم. أخفت نورة جميع أحزانها، كي لا تفسد

تلك العزومة الّتي جُهّزت من أجلها، لكن فؤاد أحسّ بخجلها فبدأ يلهو ويمزح مع أخته كي تنسجم معهم، ويستطيع إضحاكها، أدرك الجميع أنه قد وقع في غرامها، فتصرّفاته باتت غريبة، حتّى هي شعرت بمشاعره، وبرغبته في لفت انتباهها، خلق بذلك جوًا رائعا في حضورها، أحست فيه جانبا من حنان وجنون صديقتها كنزة، ثم التحق بهم الأخ الأكبر، كان جديًا مقارنة بفؤاد، قليل الكلام مقارنة بكنزة، وبعد فترة من التّحاور و الأحاديث القصيرة ليتمّ التّعارف بنورة، انضموا إلى طاولة الطّعام، فرأت أشهى الأطباق وكثرة أنواعها، شعرت بالخجل لأنّها لا تعرف معظم تلك الأطباق، ولا تعرف كيفيّة أكلها، ولذكاء كنزة وحبّها لها، جلست في الجهة المقابلة لها، وبدأت بالأكل كي تقلدّها نورة وتأكل دون حرج بعد مضي الوقت طلبت كنزة من فؤاد إيصال نورة إلى الإقامة فأخذها، و في الطّريق حاول معرفة رأيها في المنزل وأصحابه ، فردّت بحماس كبير أن كلّ ما في المنزل قد أعجبها كثيرًا . فقال لها : "و أنا ألم أعجبك ؟ " ـ طأطأت رأسها خجلا ثمّ ابتسمت لتقول في نفسها : " إذا كان حنانك مثل حنان والدك

فأنا مستعدة لأحبّك ما حييت." فسّر فؤاد ابتسامتها على أنّها شعاع أمل لنيل قلبها، وحافزًا كبيرًا لمواصلة مغامرته العاطفيّة. حاول أن يخفف السّرعة كي يمضي معها وقتًا أطول لكنّ عمر اللّحظات الجميلة قصير، وصلا إلى باب الإقامة فقال:" وا أسفاه لقد وصلنا " ضحكت من كلماته الغريبة، وعلى تصرّفاته الأغرب، ودّعته ودخلت لتتركه سابحًا في الخيال بعد رؤيته لضحكتها الجميلة، محاولًا إمساكها ليضعها تحت وسادته، فيسمعها كلما أراد النّوم، فيغفو على نغماتها، ويصحو كلّ صباح على ألحانها.

وصلت نورة إلى غرفتها، وبدل أن ترتاح غيّرت ملابسها، وأسرعت إلى العيادة، فقد حان وقت عملها، حيث وجدت الدّكتور خليل ينتظرها طلبت السّماح عن تأخرها وبدأت العمل.

-قال لها: " لا عليك، كيف كان الغداء؟" -أجابت: " رائعا... " كان ينتظر رؤية ضحكتها الجميلة، لكنّها ابتسمت ابتسامة قصيرة، وكأنّ هذه الابتسامة قد تسلّلت من حرّاس الكآبة لتقف على شرفة شفتيها تتنشّق هواءً نقيًا، ثم تعود مسرعة قبل أن يشعر

الحرّاس بتسلّلها. كانت ترتب القاعة في صمت، بينما خليل يراقبها وعلى لسانه ألف سؤال يريد له أجوبة، يريدها أن تحكي له كلّ ما تعانيه لعله يشفي قلبها من جميع الجروح الّتي عجز- رغم كونه طبيبا - عن تشخيصها، فجروح النّفس لا تكشف عنها سمّاعة ولا جهاز، وإنّما اللّسان هو الوسيلة الوحيدة لكشفه، ولسان نورة صديق وفي للكتمان. قرر تركها لتنظّف، وطلب منها غلق الباب بعد انتهائها، وتحاول ألّا تتأخّر فيحدث لها مكروه في طريقها إلى الإقامة، خرج بعد توديعها وهو يقول في نفسه: " من الصّعب أن أتركك يا جميلتي تنظفين...ماذا أفعل إن كان السّبيل الوحيد لرؤيتك يوميًا هو تنظيفك لعيادتي؟. " بعد أن نظّفت نورة قاعة الانتظار دخلت مكتب خليل، فوجدته قد رتب أغراضه قبل خروجه ليخفف عنها، جلست من شدّة تعبها على مكتبه الجميل، وبدأت تتخيل نفسها لو كانت طبيبة.

- ضحكت وقالت: "أنا طبيبة! هذا رائع سأدخل جميع الرّجال أشباه أبي لغرفة العمليّات، فأبدّل قلوبهم بقلب دجاجة، فالدّجاجة تحبّ صغارها كثيرًا عكسهم تمامًا. "عندما ذكرت والدها وقسوته فرّت

الضّحكة من وجهها، مسكت قلما وبدأت تكتب في دفتر خليل الخاصّ كلّ ما تشعر به اتجاه والدها، كتبت كلّ القصص الّتي حدثت معها، وحتّى الّتي لم تستطع سردها لكنزة، وكذا الفوارق الّتي شعرت بها عندما زارت بيتها، واصفةً الحبّ والحنان الّذي وجدتهما عندهم، وعطر الأب المنتشر في المنزل رغم غيابه عنه، لم تشمّه في الغرف فقط، وإنّما شعرت به في ضحكاتهم و ابتساماتهم. نورة لا تستطيع سرد كلّ هذه الأحاسيس لكنزة خوفًا من سوء فهمها، فقد تظّن أنّها تحسدهم على كلّ ذلك. كتبت كلّ شيء، وهذه المرة لا أحد سيشعر بالشّفقة عليها، فالقلم لن يخبر أحدًا، عندما أنهت الكتابة انتبهت إلى الدّفتر.

- صرخت قائلةً: "يا إلهي، إنّه دفتر خليل."

حاولت نزع الصّفحات الّتي كتبت عليها، فتركت أثرًا للتّمزيق، ألقت الأوراق في سلّة المهملات، وواصلت عملها، ثم أطفأت أنوار العيادة، وأغلقتها لتعود إلى الإقامة، فمازال ينتظرها بحثٌ يجب إنهاءه، شعرت في طريقها بنوع من الارتياح، كأنّها عندما كتبت تخلّصت من همومها، وعندما رمت الأوراق رمت

أيضًا جزءٌ من أحزانها، هذا قد ساعدها على نسيان كلّ شيء ولو مؤقتًا، كي تتفرّغ إلى البحث والدّراسة عند وصولها إلى غرفتها.

في اليوم الموالي ذهبت نورة إلى الجامعة باكرًا كعادتها، أما خليل فقد تعوّد كلّ صباح أن يدخل للعيادة بهدوء، و كأنّه يريد رؤية آثار أقدام نورة، أو أن يجد عطرها نائما بين دفاتره، كان يشعر دائمًا بوجودها لأنّها أضافت لمسة خاصّة للعيادة، جلس في مكتبه منتظرًا قدوم المرضى، وأمسك دفتره اليوميّ الّذي يسجل عليه مواعيد مرضاه، ليجد أثر التّمزيق فيه، احتار كثيرًا. - وقال : " كيف لنورة أن تكتب على دفتري وتمزّق أوراقه ؟! " فجأةً سمع طرقًا على بابه، قد جاء أحد المرضى، فانشغل في عمله. عندما وصل وقت استراحته، كان يحاول نزع مئزره كي يتحضّر للخروج، فلفت انتباهه ورقٌ من دفتره داخل سلّة المهملات.

-نظر إليه وقال: " لا بدّ أنّه ورق دفتري، ماذا كتبت عليه نورة يا ترى!؟ " تردّد كثيرًا قبل أن يلتقطها، فقد أحسّ أنّه يحاول التجسّس عليها، لكن عندما قرأ أولى العبارات، شعر أنّ أمنيته تحقّقت؛ أخيرا سوف يعرف سبب حزنها، جلس و أكمل قراءة كلّ ما كتبت، مفسّرًا كلّ نظراتها الحزينة، و مدركًا علّة جسمها الضّعيف المثقل بأوزان همومها الثّقيلة عنها. ألغى جميع مواعيده، وأقفل العيادة على نفسه ليستطيع وصف دواءٍ لحبيبته الجريحة الّتي لم تذق طعم الحنان من والدها، فحرّمت على نفسها كلّ أنواع الحبّ، أدرك أنّ طريقه إلى قلبها لن يكون سهلًا، وعلاج جروحها لن يكون سريعًا؛ لأنّ قسوة والدها دامت وقتًا طويلًا، ففتكت بعواطفها وانتشر المرض عميقًا، لم ينتبه إلى الوقت حتّى شعر بقدومها، فأعاد الورق إلى السلّة؛ كي لا تشعر أنّه قرأها، جلس حائرًا كأنّه يواجه مرض السّرطان أو الكوليرا. دخلت نورة كعادتها مبتسمة، وسألته عن سبب شروده، ولماذا أقفل على نفسه العيادة دون أن يعمل مساءً؟- لم يسمع ما سألته، وإنّما كان هو من يسأل . - قائلًا في نفسه: " كيف لزهرة جميلة مثلك أن تنبت في وسط مستنقع؟ . كيف أمكن لوالدك أنْ يبكي عيونك السّاحرة؟ . ما هذه القسوة الّتي يحملها، ليتني أستطيع إخراج قلبك الطّيب والدّافئ، لأنظفه من كلّ تصرفات والدك الّتي جعلت

نبضاته نغمة حزينة." بينما نورة تنتظر جوابه، كان خليل محدقًا فيها ينتظر جوابها، ولما رأى في عيونها الخوف من شروده، تفطن لما يفعله، فهو يريد زرع الأمان في طريقها لا إخافتها منه. - قال لها: "أنا أشعر بالتّعب، لقد تعبت من زيارة المرض لي كلّ يوم." بدأت ترتيب أغراضه بعد أن ذهب عنها الخوف. سألها:" ألست متعبة من الدّراسة؟ " - أجابت: " بلى فلقد سهرت لوقت متأخّر من اللّيل، حضّرت فيه بحثًا، ألقيته قبل قليل وقد نال إعجاب الأستاذة كثيرًا، فنسيت جزءً من تعبي بعد ذلك الإطراء." - سألها : " هل تنسي الألم بسرعة كما تنسي التعب ؟ ." - قالت : " لا... فالأمر مختلف، التّعب يخصّ الجسم وقتًا إلاّ أن النّوم و الرّاحة تزيل أثره، أمّا الألم يجرح القلوب، والنّوم غير كافٍ لشفائها، فحتّى في الحلم نشعر بالألم. " نظرت في عينيه، لتسأله:" هل تشعر بالألم يا دكتور، وتريد من محامية مثلي أن تشفيك ؟!" ضحك وقال في نفسه :" أنت ألمي، وشفائي هو علاجك، أنا أحبّك يا نورة، سوف أكتم حبّك في قلبي، حتّى أجد إلى قلبك طريقًا، وعندها سأجعلك أسعد امرأة في هذه

الدّنيا." تظاهر أنّه يدرس في إحدى كتبه بينما هي تنظّف، ثم نظر من خلال النّافذة فرأى المطر ينزل بغزارة. - قال في نفسه:" يا ترى، كم دمعةً بكيت يا نورة في حياتك ؟، فالمطر بالنّسبة لي هو عبارات حزن تساقطت من السّماء ؛ إنّه دموع الألم ." انتظرها حتّى أكملت عملها ليصحبها في سيّارته إلى الإقامة الجامعيّة كي لا تبلّلها ولو قطرة مطر، أو تضربها نسمة بردٍ، فتنهك جسمها الضّعيف. أوصلها إلى باب الإقامة، وتأكّد من عدم احتياجها لأيّ شيء، وذكّرها أنّه لا يمانع إن أرادت دفعةً مسبقة من الأجر، شكرته على كلّ شيء ودخلت، ظنت أنّه انصرف إلى بيته، لكنّها لم تدرك أنّ فكره قد رافقها إلى غرفتها، مداعبًا شعرها، وعندما نامت احتضن وسادتها، لعلّه يستطيع الذّهاب معها إلى عالم الأحلام فيشاركها إياها.

لم ينم خليل تلك اللّيلة، كان يظّن أنّه سيرتاح إذا عرف سرّ حزنها، لكنّ الأحزان أسرته هو أيضًا، وجثمت على صدره وكتمت أنفاسه، فبات يريد الصّراخ بأعلى صوته حتى يوصله لهذا الوالد القاسي، ويسمع بهمسه جميع الرّجال حتّى الّذي به

صمم، ويقول: " نورة حبيبتي، لا أريد من أحدٍ أن يؤذيها، لا أريد شيئًا سوى رؤيتها سعيدة.... ولو كان ذلك على حساب حياتي، لن أتركها أبدًا."

بينما خليل يقطع على نفسه الوعود، كان فؤاد ينتظر اليوم الموعود، اليوم الّذي يظفر فيه بقلب نورة، خاصّة وأنّه اعتبرها تحدٍّ كبيرٍ، فهو لم يصادف من قبل امرأة تجعله في جوّ الخيال يطير، بات يقلب في أفكاره عن وسائل ليجعلها في طريق حبّه تسير، ثم لجأ إلى كنزة لتساعده، فسألها عن كلّ ما تحبه نورة، وأين يتيح له إيجادها، حتّى يتسنى له نصب الفخاخ ليصطاد الفريسة الجميلة.

قرر أن يقطف كلّ يوم وردة في الصّباح الباكر، ويتوجه إلى باب الإقامة الجامعيّة قبل أن يلتحق بكلّيته، فيتركها عند حرّاس الباب، بعد أن يطلب من أحدهم تقديمها لها عندما تهمّ بالخروج، وما إن ذكر اسمها حتى عرفوها فهي مميّزة، لا يوجد أحد لا يعرف جمالها، ولا يحتار في أسرار حزنها. خرجت نورة صباحًا، فطلب منها أحد الحرّاس التّوقف، شعرت بالحيرة فعادةً هم يوقفون البنات اللّواتي

يأتي أهلهنّ للزّيارة، وهي لا أهل لها سوى أمّ وأخت لن تتحرّرا أبدا من قفص والدها.

-تقدّم إليها و قال:" نورة أحدهم ترك لك هذه الوردة." ـ ضحكت وقالت:" لا بدّ أنّك مخطئ فلا أحد يترك لي ورودًا." -قال الحارس: " لقد جاء شابٌ، قام بوصفك وفي عينيه رأيت صورتك من شدّة حبّه لك." أخذت الوردة وهي محتارةٌ كثيرا، شمّتها لعلّها تشمّ عطر المرسل المجهول، ثم بدأت تقلّب في ورقاتها لعلّها تجد تفسيرًا، فلم تستطع معرفة الشّخص الّذي قد يرسل لها وردة، خبأتها وواصلت سيرها، مقتنعةً أن الحارس قد أخطأ في الاسم.

مرّ يومها كباقي الأيام من دراسة و بحوث، ثم التقت بكنزة لتقديم شكرها عن حسن الضيافة، وتسألها عن والدها الّذي لمست حنانه في كلّ ركن من أركان المنزل، وسمعت ضحكاته بين ضحكاتهم، بدأت كنزة تحكي لها عن دفء المنزل أكثر بوجوده، وعن سهره عليها وعلى أخويها عند المرض، واصفةً البسمة الّتي لا تفارق محياه، فرغم شروده الكثير في أمور العمل، والمشاكل الّتي يواجهها فهو لا يبرز

لهم غضبه؛ كي لا يجرحهم . أما والدتها فلطالما أحبّها وتزوّجها عن حبّ لم يضربها يومًا، ولم يحرمها شيئًا.... كانت تصف أباها الحنون، ونورة تقارن بأبيها في صمت، لكن تنهداتها الكثيرة، جعلت كنزة تشعر بجروحها فتوقفت كي لا تنزف أكثر. فجأةً رأت فؤاد متوجّهًا نحوهما، فقالت: "ها قد جاء فؤاد إنّه صورة طبق الأصل من والدي، إنّه أحن أخٍ في هذه الدّنيا."

وصل مبتسما، وأخيرا وجدهما متظاهرًا أنّها مجرّد صدفة، وأنّه لا يعرف بوجودهما هناك، ألقى التّحية، وجلس ليبدأ كعادته النّكت الظّريفة، بينما يتغزّل بعيون نورة من خلال نظراته. مضى وقتٌ طويلٌ وهم معًا، شعرت فيه نورة بالأمان مراقبةً فؤاد لتحاول معرفة إن كان حنونًا كما قالت كنزة إلى أن وصل وقت عملها، فغادرت وهي تفكر في الأشخاص الطّيبين الموجودين في هذا العالم بعيدًا عن قريتها.

وصلت إلى العيادة لتجد خليلا ـ وهو أحد القلوب الطّيبة ـ ينتظرها كعادته مبتسما سائلًا عن أحوالها، وإن كانت تحتاج شيئًا، ودّعها ثمّ غادر

مسرعا، احتارت نورة من ذهابه، فقد كان يمضي بعض الوقت معها، لم تكن تعرف أنّه ذاهب من أجلها. قصد الجامعة ليتحدّث مع الأساتذة الّذين يدرسونها، فتفاجأ بحبّهم الشّديد لها، لأنّها طالبة مجتهدة ونشيطة، فرح كثيرا برأي أساتذتها فيها، وسألهم عن إمكانية نجاحها خاصّة وأنّهم على وشك إنهاء السّنة الدّراسية، علم أنّها ستنجح بفضل تعبها ودراستها، ولا تحتاج إلى توصية من أحد. عاد خليل إلى العيادة ليراقبها عن كثب، فعيونه لم تأخذ نصيبها- ذلك اليوم - من النّظرات، وسمعه لم يرتو من سماع صوتها العذب، وعندما خرجت تعقبَ أثرها كي يساعدها إن وقعت في مشكلة، فكان حارسها الخفي حتّى وصلت إلى باب الإقامة الجامعيّة.

كانت الأيام الأخيرة من العام الدّراسي الأوّل تكرّر بعضها، وكأنّها تريد ترسيخ نفسها في ذاكرة نورة كي تأخذها معها في العطلة الصّيفية، فأصبحت ضائعة بين حنين واشتياق إلى أمّها وأختها، اللّتان لم ترهما طيلة السّنة الدّراسية بسبب الخوف، وبين أيام التّحرر و الحياة الجديدة التي

دوّنت كلّ لحظاتها، وطبعت صورها في ذهنها، الّذي لم يتوقّع أن يعيش هكذا أيام، أو الالتقاء بأشخاص طيبين مثل كنزة و فؤاد و الدّكتور خليل، و حتّى الشّخص المجهول الّذي يرسل لها وردةً كلّ صباح.

بينما نورة مع كنزة في الحديقة، وفي آخر أمسيات صداقتهما الجميلة، قالت نورة:" غدًا سأذهب باكرًا، يبدو أنّني آخر فتاة تذهب إلى منزلها، لقد غادر الجميع، لم تبق سوى بنات مثلي سيرحلن اليوم، إذا استطعن فلت أنفسهن من أيدي الأيام الجميلة الّتي تمنعهم الرّحيل، كنت أظنّ أني الوحيدة الّتي تكره الذّهاب إلى البيت، ولكن هذا يعزّيني." كادت كنزة تبكي من شدّة الألم على فراق صديقتها، ولكنّ كعادتها أخفت دموعها؛ كي لا تعمّق جرحها أكثر، لكن نورة رأت تلك الدّموع المختبئة في العيون .... قالت كنزة:" لن أودّعك اليوم سأراك في الصّباح قبل رحيلك، أعرف أنّ هذا صعب، لكنّ الأيام ستمرّ بسرعة، وسترجعين." - أجابت نورة في نفسها:" لا أظنّ ذلك يا صديقتي فقفص والدي من الصّعب الإفلات منه." أخفت نورة هذه العبارات لأنّها تعرف كنزة لن تستطيع مسك دموعها إذا عرفت أن

احتمالات رجوع صديقتها ضئيلة. - قالت كنزة: "أخبريني بالعنوان كي آتي لزيارتك في العطلة." - ضحكت نورة وقالت:" لا أريد لصديقة رقيقة المشاعر مثلك أن ترى قسوة أبي، كما أنه للأسف يكره مجيء الزّوار لنا، فهو عن طردكِ إذا جئتِ ليس ببعيد، لا تغضبي منّي، ولكنّنا لا نعرف حتّى أقاربنا." استأذنت نورة الذهاب كي تتهرب من جوّ الكآبة الّذي حضن الصّديقتين لأوّل مرّة، فكم كان ذلك قاسيًا على الاثنتين.

ذهبت إلى العيادة لتعمل آخر دوامٍ لها، وصلت قبل موعدها، حيث كان المرضى ما يزالون في قاعة الانتظار، بقيت تنظر إليهم وهم يتألمون، وقالت في نفسها:" أحسدكم أيها المرضى على هذا الألم الجسمي الزّائل بدواء الدّكتور خليل، ليتك يا خليل تداوي ألمي... ألم الفراق هذا." عندما غادر جميع المرضى دخلت إلى خليل، فقال:" هل وصلت يا نورة ؟ " ـ قالت :" جئت باكرًا، فجلست في قاعة الانتظار، هذا آخر يوم في عملي." عرف خليل أنّ انتظارها في القاعة دليل على ألمها، ولكنّه لا يستطيع أن يشعرها بكلّ ذلك، لا بحبّه ولا بنار

الفراق الّتي تحرق فؤاده، قدّم لها الأجر، ثم خصّص مبلغًا آخر - وقال لها:" خذي هذا المبلغ كدفعة مسبقة، يمكنني خصمها بعد العطلة، أعرف أنك لا تقبلين أيّ شيء دون مقابل." رفضت نورة ذلك، وأخذت فقط أجرها جزاء العمل الّذي تعبت عليه، لأنّها تريد شراء بعض الهدايا لأمّها وأختها. فهم خليل أن رفضها لفكرة الدّفع المسبق دليل على عدم تأكدها من الرّجوع، شعر بجرحٍ عميقٍ في قلبه، عندما تخيلَ أنّ ذلك اليوم هو آخر يوم يراها فيه، أراد البوح لها قبل أن تذهب، أراد احتضانها كي ينسيها كلّ ألم شعرت به في حياتها، ولكنه خاف من خسارتها أكثر، كتم كلّ كلمة أحبكِ نطقها نبض قلبه، وأخرس كلّ أنين حاول نطقه، ليكتفي بمراقبتها، وهي تنظّف متمنيا أن تترك عطرها في كلّ ركنٍ من العيادة.

بعد انصرافها إلى بقية القاعات لتنظّف، مسك حقيبتها ليحاول شمّ عطرها، وسرقته كي يحبسه في رئتيه، فلاحظ وجود ثقب في الجيب الدّاخلي، طوى النّقود وأدخلها ببطء كي لا تعرف نورة أنه ترك

لها ذلك المبلغ الّذي رفضت أخذه فربّما تحتاجه يوما.

تمنى خليل ألاّ ينتهي تنظيف العيادة بسرعة؛ كي يبقى معها وقتًا أطول، عندما انتهت قدم لها بعض الهدايا كان قد حضّرها لأختها وأمها، وقال:" سأغضب منك إذا رفضتي هذه الهديّة."

لم ترفض نورة آخر طلب من الممكن أن يطلبه خليل، ابتسمت وقدّمت له كلّ معاني الشّكر و العرفان، فبفضل العمل في عيادته واصلت الدّراسة، واشترت كلّ ما أرادته، وحتّى معاملته الغامضة الّتي تحمل نوعًا من الحنان والدّفء فيها، سألها: "متى تذهبين؟" ، قالت:" على السّاعة 08:00 صباحًا ." عرض إيصالها إلى الإقامة، لكنّها رفضت لأنّها تريد التّجول في الطّريق وشراء بعض الأغراض لتأخذها معها، لم يستطع خليل منع نفسه من السّير خلفها، وكأنّه لا يريد شيئًا سوى رؤيتها حتّى أنّه منع أجفانه أن تنطبق وهو يراقبها.

دخلت محلّ الملابس النّسائية، اشترت فستانًا لأمّها، وبعض الحلي لمريم لعلّها تزّين بهم نفسها حين يتقدّم أحدهم لخطبتها، فلا مجال لها للهرب

والخروج من البيت غير الزّواج. راقبها خليل من خلال واجهة المحلّ ليرى ماذا اشترت، ثم اختبأ بمجرد خروجها، وواصل تعقبها. لفت انتباهها محلّ الملابس الرّجالية، فتوقّفت عنده تنظر إلى الواجهة. قال خليل بعد أن دهش من توقّفها:" هل ستشتري لوالدها القاسي هديّةً؟ . الوالد الّذي بعثها إلى المدينة وحيدة، ولم يسأل عنها طيلة فترة دراستها، إن كانت بخير أم أنّ الذّئاب البشرية قد افترستها وسلبتها براءتها ! بالرّغم من كلّ شيء هي فتاة... كيف لا يسأل عنها؟ " دخلت نورة المحلّ فانبهر أكثر لطيبة قلبها، ومن حنان البنت الّتي لا تبادل والدها قسوته، أسرع ليعرف ماذا ستشتري له؟! رآها تمسك ساعةً ...أجل ساعة، أرادت أن توصل لوالدها من خلالها رسالة مفادها " إنّ الوقت يمرّ." فمن الممكن أن يتغيّر، ويحنّ قلبه عندما يرى الهديّة، فيبدأ معهم وقتًا جديدًا، وهي مستعدّة لمسامحته، قالت في نفسها:" بالرّغم من كلّ شيء...... اشتقتُ إليكَ يا أبي." اشترت نورة ساعة اليد وأكملت سيرها، أمّا خليل تبعها مصدومًا من تصرفاتها، حتّى أصبح هائمًا في خياله، يتمنّى لو

يستطيع اختطافها بعيدًا، فيخبئها في حضنه حتّى لا يرى قلبها الدّافئ إلاّ حنانه، ولا يتسخ بقسوة الحياة، و يمنع استبداد الظّلم على أيّامها.

مرّت اللّيلة الأخيرة على نورة نهارًا فلم تستطع النّوم، حيث أخذها تفكيرها في كلّ اللّحظات الّتي عاشتها خارج قفص والدها، وكأنّها باتت تجمع ضحكاتها الّتي تسلّلت في أيّامها الماضية لترجعها إلى داخلها، وتغلق عليها، فبعد تلك اللّيلة لن تضحك لوقتٍ طويلٍ إلى أن يأتي يوم تستطيع فيه الفرار من الظّلم الّذي يكتم أنفاسها، ويجعلها عاجزةً عن وصف إحساسها لم تكن الوحيدة الّتي سهرت تلك اللّيلة، فكنزة وفؤاد وخليل كلّهم يعزّ عليهم فراقها.

ما إن سرق النّعاس نورة قليلا حتّى رنّ صوت منبهها، فقد حان وقت الرّحيل، ويجب أن تتأهّب لذلك. عند خروجها إلى باب الإقامة الجامعيّة وجدت سيارتين بانتظارها، أحدهم كان خليل، والآخر كان فؤاد و كنزة، فرحت برؤيتهم، وعرّفتهم ببعض، وبعد أن احتارت مع من تذهب، فقد أرادوا إيصالها إلى موقف الحافلات، قررت السّير فلكلّ منهم معزته الخاصّة، ولم تستطيع إرضاء أحدهم

على حساب غضب الآخر، وخليل كعادته أخفى رغبته في إيصالها، وقال: " اذهبي مع صديقتك و أخيها، أنا فقط أردت رؤيتك قبل أن تغادري."

ودّعته بمرارة شديدة، ودّعت الصّديق الوفي وربَ العمل الطّيب الّذي ساعدها بكلّ صدق، أمّا توديع خليل كان مختلفًا، فهو عاشق يشعر بخسارة حبيبته، كادت عيونه تكشف أسرار قلبه و تبوح بها، فنورة وهي تصعد السّيارة لم تبعد عينيها عن عينيه، وكأنّها تريد قراءة ما يكتب عليهم، حتّى بعد انطلاق فؤاد بالسّيارة، بقيت نورة تنظر إلى خليل إلى أن ابتعدوا عنه. عرض فؤاد على نورة المساعدة إن احتاجت شيئًا، وبدأ يصف طعم الفراق المز الّذي يشعر به، أعجبها كلامه كثيرًا فلأوّل مرة يقول لها شخص أنّه يصعب عليه فراقها، وأنّه سيشتاق إليها. أمّا كنزة كانت صامتة، وكأنّها تعلّمت الصّمت من نورة أو استعارته منها، لأنّ الصّمت لم يكن يومًا من صفاتها، شعرت نورة بما تعانيه كنزة، فهي أيضا تشعر بذلك.

قدّمت لها هاتفًا، وقالت:"خذيه كي أستطيع الاطمئنان عن أحوالك."

- رفضت نورة وقالت لها:" هل تريدين توريطي في مشاكل أكبر؟ لا تخافي يا كنزة سأكون بخير."

ما إن نزلت نورة حتّى أسرعت كنزة لاحتضانها قائلةً: "أحبّك كثيرًا يا صديقتي، لا تنسِ صداقتنا."

ودّعها فؤاد بعد أن وافقت أخيرا على مصافحته، وأطلقت سراح دموعها، لتغادر المدينة الجميلة وأحبابها بدموعٍ بلّلت حتّى ملابسها، غادرت ولم تكن تعرف أنّ خليلا يلحق بها، فقد قرّر أن يذهب وراء الحافلة للتّعرف على قريتها وبيتها. جففت نورة دموعها، وكأنّها تقول لعينيها:" اصبري فمازال هناك المزيد من الوقت لتبكي."   كلّما كانت تقترب من القرية، ينقبض قلبها أكثر، فأحست في بداية صيفٍ بجليدٍ يحاول تجميد مشاعرها، حتّى وصلت إلى باب بيتها، كان خليل خلفها ينظر من خلال سيّارته. - قائلاً في نفسه: وداعًا يا حبيبتي، سوف آتي دائمًا لأراك ولو من بعيد."

وما إن دخلت غادر وهو يتساءل عن طريقة الاستقبال الّتي ستلقاها.

دخلت نورة بعد أن فتحت لها أمّها الباب، فصرخت من شدّة الفرح واحتضنتها بقوّة، وقبّلتا

بعضهما كثيرًا، فلأوّل مرة تفترقان لتلتقيا بعد شهورٍ طويلةٍ، ثم سألت نورة عن مريم - قائلةً: " ألم تشتق لي ؟ أين هي ؟ " صمتت الأمَ وبقيت نورة تبحث في المنزل، فلم تجدها...صرخت:" لا تقولي لي أن أبي قد زوّجها غصبًا عنها." بكت أمّها كثيرًا، و لم تستطع التكلم بسهولة لتقول: " زوّجها والدك ؟. يا ليته فعل ذلك...أختك ماتت." صدمت نورة وظنّت أنّها تمزح معها، وقالت:" لا تفعلي هذا بي يا أمي." ـ قالت الأم:" لقد ماتت منذ ثلاثة شهور......"

بكت نورة كثيرا، واسودّت كلّ الدّنيا في عيونها، اجتمع جميع نسوة الحيّ ليساعدنها، فقد علمن بقدومها، وهي الّتي لم تحضر جنازة أختها، لم تفدها تعزية ولا كلام الجميع معها، فقد عجزت عن الكلام أيّاما، تمنت لو أنّها تركت الدّراسة، وكلّ أحلامها لرؤية أختها قبل موتها، ولكنّ النّدم أيضا لن يفيد. حاولت أن تسأل أمّها عن سبب الوفاة، ولكنّها لم تستطع وأصبحت لمدّة ثلاثة أيّام مجرّد جسم هامد لا يتحرّك، ولا ينطق ببنت شفة سوى دموعٍ لا تتوقّف وشهيقٍ يؤلم كلّ من يسمعه حتّى أعياها الحزن، واستسلمت للنّوم لعلّها فيه تنسى هذا

الكابوس، أو ترى أختها في أحلامها، فمن شدّة الحزن نسيت صورتها، عندما نامت أعادت في الحلم كلّ لحظات حياتها المؤلمة، وعندما آلمها ذلك كثيرا صرخت بأعلى صوتها، تنادي :" مريم..." فأسرعت لها أمّها لتقول لها : " اهدئي يا ابنتي، إنّه مجرّد كابوس مزعج. " قالت نورة : " لا يا أمّي حياتنا هذه هي الكابوس، أخبريني كيف ماتت مريم ؟ ـ هل قتلها أبي؟" - قالت والدتها:" لا، ما هذا الكلام والدك ليس قاتلا، وإنّما وقعت بينما هي تنظّف، فلطمت رأسها." شعرت نورة أن أمّها تخفي الحقيقة كعادتها، وتبرّر أخطاءه، فدائمًا كانت تجد حجّة لقسوته. - قالت لها أمها:" آلمني كثيرًا موت مريم، فحاولت الانتحار، لكن لم أستطع تركك وحيدة، فلا تكثري على نفسك الأحزان، ولا تغضبي والدك منك، فيصيبك مكروه، وتتركيني وحيدة، فأنا لم أبق مع والدك إلا لأجلكما يا بنتي ."

كان الأب في تلك الأيّام غائبًا عن المنزل كعادته، لكنّ نورة كانت تنتظره بشدّة، فربّما تجد موت أختها قد غيّر عصبيته وتصرّفاته، لما سألت أمّها عنه، قالت:" لقد أصبح كثير الغياب، والشّرود، وكأنّ

في داخله صراع لا أفهمه." طلبت نورة من أمّها
الذّهاب لزيارة قبر أختها، قالتها وفي قلبها جرح دلّ
عليه تنهدّها، حيث كان ذلك أكبر جرح في حياتها.
أسرعتا في الذهاب قبل عودة والدها المترقب
رجوعه في أية لحظة، كان خليل في تلك اللّحظات
في القرية، فشوّقه إليها جعله يبحث عن وسيلة
لرؤيتها، وقد لفت انتباهه أن عيادة القرية لا يوجد
فيها طبيب، فأصبح يحاول الانتقال للعمل فيها
لبعض الوقت، كي يتسنى له رؤية نورة، وربّما
مرضت فيكون حاضرًا لمعالجتها ومساعدتها، وبينما
هو يسأل عن سبب انعدام طبيب، وعن حال السّكان
إن مرضوا ما عساهم فاعلين. تفاجأ بها و أمّها
تخرجان و قد مرّتا عليه، ولكن نورة لم تره من شدّة
الحزن، فهي لم تكن ترى شيئًا سوى الألم، انتبه إلى
يدها تحمل الهديّة الّتي اشترتها ذلك اليوم، وكذا
الهديّة الّتي طلب منها إعطاءها لمريم. كسره الحزن
الّذي أعمى بصيرة نورة لدرجة عدم رؤيته، فتبعهما
حتّى دخلتا المقبرة، عرف أنّ أحدهم قد توفيّ،
تساءل :" هل والدها أم أحد أقاربها؟ -لكنّني لا أرى
أختها معهما، أين هي ؟" ولما رأى نورة سقطت

على القبر، وتصرخ :" مريم ......مريم ......مريم "
اقترب ليعرف إن كانت أختها هي فعلا من ماتت،
فوجدها تخرج الحلي و الهدايا الّتي اشترتها لها و
تقول: "أحضرت لك الهدايا لتتزيّني، لكنّ التّراب
تزيّن بك واحتواك، أردت أن تكوني أجمل عروسة،
لكنّي وجدتك في هذا القبر محبوسة، أخبريني أيّهم
أجمل سجن أبي، أم القبر ؟ إن كان القبر مريحًا
سوف ألحق بك." حاولت أمّها إيقافها خوفا من أن
تؤذي نفسها، ولكنها لم تستطع فحتّى هي صعب
عليها فراق ابنتها، اقترب منها خليل ليخفف عنها، و
ما إن عرفته مسكته و صرخت قائلةً: "يا ليتني
عدت يا خليل قبل ثلاثة أشهر لأراها قبل أن يسرقها
الموت منّي، لقد كنت في المدينة سعيدة، بينما
كانت أختي تموت لتدفن هنا."
قال لها:" ابكي... ابكي لترتاحي ولكن لا تؤذي
نفسك ولا تصرخي." شاركها البكاء حتى اختلطت
دموعهما، ثمّ أغمي عليها من شدّة الألم، وعجز
جسمها عن التّحمل، خافت عليها والدتها كثيرًا.
ـ فقال خليل:" لا تخافي أنا طبيب، تعالي سيدّتي
معي لنأخذها إلى العيادة."

حملها مسرعًا إلى العيادة الّتي لا يوجد فيها سوى رجل يعرف الحقن وقياس الضّغط، يفتحها يوميا دون طبيب، استأذنه ليعالجها فتركه خاصّة، فهو يعرف أنّ خليلا طبيب يريد الانتقال للعمل هناك. أنعش جسمها الضّعيف، وسألها إن كانت تشعر بألم ما، فقالت:" كيف تسأل...؟ يا خليل وأنت تعلم أن ألمي في قلبي، ولا تستطيع معالجته." تركها تبكي رغم ألمه الشّديد عليها وعلى حالها، ولما كفكفت البكاء سألها عن سبب وفاة أختها و إن كانت مريضة قبلا، قالت:" أمي تقول أنّها وقعت بينما كانت تنظّف، و لكنّني أشعر أن أبي قتلها و هي تدافع عن أمّي أو لسبب آخر."

لم يستغرب خليل ذلك، ولكنّه لم يرد أن يؤيّدها في شكّها خوفا عليها، وقال:" يمكن أن تكون قد وقعت فعلا...ولكن أين هو والدك؟"

قالت:" إنّه غائب لم أره منذ عدت إلى البيت، وسأعرف الحقيقة ما إن أراه."

خاف خليل عليها كثيرا، وقدّم لها بعض الفيتامينات لتقوّي جسمها خاصّة وأنّها لم تأكل جيدا الأيّام الأخيرة.

تفطنت نورة لوجوده في قريتها، وقالت له:" ولكن ماذا تفعل هنا؟" قال:" سوف أبدأ العمل في هذه القرية ووجدتك بالصّدفة." لم يرد أن تعرف أنّه لحق بها، كان يريد أن يبقى معها وقتا أطول، لكن خاف أن تشعر والدتها أو العامل في العيادة أنّهما يعرفان بعضهما البعض، وقال لها:" إنّي هنا إن احتجت شيئا أو مرضت تعالي."قالت:" سأحاول المجيء عندما يكون والدي غائبا."

ودّعته حاملة الأدوية وغادرت مع والدتها تاركة ألم جروحها لخليل الّذي تألّم لألمها، وخاف من فكرة أن والدها قتل أختها، قائلا في نفسه:" ماذا لو أنّه قتلها هي أيضا."

في طريقهما سألت والدة نورة عن خليل فروت لها القصّة كلّها، خافت من وجود علاقة بينهما، وقالت:" لن يرحمك والدك إن عرف علاقتك بهذا الشاب."

ضحكت نورة وهي تقول:" أين كان عندما تركني بعيدا دون سؤال؟"

ما إن وصلتا إلى البيت حتّى دخل الأب المنزل، حمدت الأمّ اللّه أنّه لم يصل قبلهما، أسرعت نورة إليه فلعلّه دفن قسوته في القبر مع مريم،

فصدّها بعبوس وجهه قائلا لها:" هل عدت؟" علمت من صوته أنّ من دفن حنان أختها وليست قسوته، ستبقى معه إلى أن يموت، حاولت تقبيله ولكنّها لو قبّلت حائطا كان أحسن، فقبلتها الدّافئة لم تحرّك قلبه المتحجّر، و من خلال نظراته و تصرّفاته نفسها الّتي تركته عليها شعرت أنه فعلا قد قتل مريم. لم يسأل عن حالها، و كأنّه لا يهمّه أمرها البتّة، و من لا يكترث لحضور ابنته الّتي غابت عن المنزل طويلا لن يكترث لموت الأخرى، أسرعت نحوه زوجته لتساعده على نزع معطفه، و غسل قدميه كعادتها فهي بالنّسبة له مجرّد خادمة إن تأخرت في تلبية طلباته أخذت نصيبها من الضّرب و الشّتم، و أجرها على خدمته هو العرفان لكونه يطعمها، سئمت نورة من ذلك المنظر المحبط، فدخلت غرفتها كي تحتضن ثوبا من أثواب أختها لعلّها تشتمّ رائحتها، و تنام و لكن الذّكريات لا تجعلها تنام بسهولة، و كأنّ الدّمع أقوى من النّعاس، لتنام أخيرا و على عينيها دموع، و أحيانا تكون نائمة و عينيها تبكي حتّى تشعر بتبلّل الوسادة، فتصحو لتقلّبها على الجهة الأخرى، و عندها تحتار هل تواصل النوم أم البكاء.

كان خليل ينتظرها كلّ يوم في العيادة لعلّها تأتيه ليطمئن عليها، وعندما ييأس من الانتظار يراقب منزلها لعلّه يسمع صوتها أو يلمحها تخرج، وعندما رأى رجلا يخرج أدرك أنّه والدها، شعر أنّه يعرفه، ثمّ قال في نفسه:" يا إلهي إنّ وصف نورة له أجمل من شكل وجهه المتجهّم، وإنّ مظهره مخيف." نظر إليه كثيرا ثمّ خاف أن يلمحه، قرّر العودة إلى المدينة، فبوجود والدها لن يراها أبدا.

أطال الأب مكوثه بالبيت، وكأنّه أراد مراقبة نورة من جهة، وتعويضها ما فاتها من قسوة الأشهر السّابقة من جهة أخرى، ولكنّها أصبحت أقوى من السّابق وصار همّها معرفة حقيقة وفاة أختها حتّى وإن كانت ستخسر حياتها هي الأخرى، لكنّ والدتها كانت تتجنّب أيّ شيء يزعج زوجها، كي لا تشعر وحيدتها بالألم.

وأخيرا غادر السّجان وارتاحت نورة قليلا بذهابه، فقد طلبت منه مرارا الذهاب إلى قبر أختها، وهو رفض وجرحها بقوله:" إن كنت قد اشتقت إليها يمكنك الموت واللّحاق بها إن أردت؟" ما إن ذهب خرجت وحتّى دون أن تستأذن أمّها توجهّت

إلى المقبرة، لتجد خليلا عند قبر مريم يغرس
الأزهار، احتارت كثيرا فهي لم تتوقع أن يفعل ذلك.
– قالت له:" هل أستطيع معرفة سبب زيارتك لقبر
مريم وغرس الأزهار عليه؟" - قال لها:" شعرت أنّك
ترغبين في زيارتها ولم تستطيعي، و قد أدركت ألا
أحد يزور قبرها فجئت كي لا تشعر بالوحدة لأقول
لها أنّ نورة تحبّك كثيرا." - قالت له:" يا لك من
صديق رائع! وجودك خفّف عني الألم وجعلني لا
أشعر بالوحدة." ساعدته في غرس الأزهار على
القبر وقالت له:" لكنّ هذه الأزهار سوف تذبل، فأنا لا
أعرف إن كنت أستطيع المجيء كلّ مرّة لأسقيها؟"
- ابتسم قائلا:" يمكنني ذلك كلّما شعرت برغبة في
رؤيتك. "كانت كل كلماته تحمل بين حروفها حبّا
قويّا، وفي عينيه حنانا متدفقا، يمكن أن يجرف كلّ
همومها و أحزانها بعيدا، و لكنّها لم تشعر بذلك.

سألها عن سبب قسوة والدها فقالت له:" لا أعرف
وما باتت تحيّرني قسوته، وإنّما سكوت والدتي عن
الوضع واستسلامها هو الّذي يحيّرني أكثر." قال
لها:" نعم ... كان بإمكانها الانفصال عنه، وأخذك أنت
ومريم بعيدا ما الّذي منعها؟" بقيت معه وقتا

طويلا تحكي له عن كلّ ما تشعر به، ولم تدرك أنّ
خليلا كان يعرف كلّ شيء، و هو فرح بذلك فقد
أحسّ أنّها بدأت تثق فيه لهذا فتحت له قلبها ليقرأ
كلّ ما كتب عليه بخط الظّلم و الأسى، سألها عن
الدّراسة فأخبرته أنّها سوف تتوقّف فقد كرهت كلّ
شيء بموت أختها، لكنّه أصرّ على المواصلة لتحقّق
أحلامها. ولما شعرت بمضي الوقت و تأخّرها عن
البيت دون إخبار أمّها، ودّعته و لكنّه طلب منها
مرافقته إلى السّيارة ليقدّم لها كيسا، رفضت في
البداية أخذه فأصرّ عليها، شكرته على اهتمامه و
مساندته لها، و ذهبت إلى البيت قبل أن يراها
أحدهم فيوصل الخبر لوالدها.

عندما دخلت البيت انهالت عليها أمّها صراخا و
شتما من شدّة القلق عليها، ثمّ سألتها عن الكيس
الّذي كان بيدها، فأخبرتها أنّها التقت بالدّكتور خليل
و قد أحضر لها بعض الأغراض، كادت تضربها ظنّا
أنّها تواعده لكنها أكدت لها أنّه لا شيء بينهما. -
وقالت ساخرة:" و كيف لدكتور ناجح مثله أن
يواعد فتاة تلاحقها التّعاسة أينما ذهبت، لقد قلت
لك أنّه مجرّد صديق لي و كان رب عملي." - أجابت

الأمّ:" ماذا لو رآك أحد الجيران معه، و أخبر والدك هل تعلمين ماذا سيفعل بك؟" - ردت نورة غاضبة:" هل سيقتلني كما قتل مريم؟ و تتستّرين أنت عليه مرّة أخرى؟" غضبت والدتها و قرّرت منعها من الخروج، و إن لزم الأمر تحبسها كي تحميها. دخلت نورة غرفتها و ألقت الكيس على السّرير، و لما فتح لفت انتباهها نوع الشّكولاطة المفضّلة عندها، و الحلويّات الّتي تحبّ أكلها، و كذا المجلة الأسبوعية الّتي كانت تطالعها كلما تركها أحد المرضى بالقاعة، و قارورة عطر، و بعض كتب القانون، وجدت في الكيس كلّ ما تحتاجه، و لكنّها شعرت بالحيرة كيف عرف خليل ما تريده، و قالت في نفسها:" هل كان ذلك مجرّد صدفة أم أنه يعرف ما أحبه؟! يا له من صديق رائع."

مرّت الأيّام على نورة بين أحزان وآهات محاولة فيها الهروب إلى الدّراسة في الكتب تارة، وإلى استرجاع ذكرياتها مع كنزة وفؤاد تارة أخرى، وكانت كلّما غادر والدها البيت شعرت بتحسن فنظراته القاسية لا تشعرها إلاّ بالحسرة، وتذكّرها بآلامها وآلام أختها الّتي ماتت قبل أن تتحرّر أو

تضحك ولو مرّة في حياتها. لقد حاولت والدتها كثيرا إرضاءه، لكنّه كان كثير التّذمّر على أتفه الأسباب. ذات يوم نهضت باكرا لتحضر الإفطار بينما نورة ووالدها يغطّان في نومهما، كانت تعمل دون إصدار أي صوت فهو لا يحب أن يزعجه أحد عند نومه. فجأة طرق الباب، احتارت هل تفتح أم توقظه، تواصل دقّ الباب وعندما سألت من خلاله، أجاب طفل:" لقد أحضرت الجريدة إلى عمي حميدو." فتحت الباب بهدوء، أخرجت يدها لتأخذ الجريدة من الطفل وتشكره. حينها استيقظ الزّوج و دون أن يعرف السّبب مسكها من شعرها، و أطرحها أرضا لينهال عليها بالضّرب دونما شفقة، و كأنّه كان ينتظر وقوعها في الخطأ كي يشفي غليله فيها، و يثبت رجولته على جسمها الضّعيف نهضت نورة فزعة من نومها على صراخ أمّها، أسرعت لحمايتها، و لكنّه رماها بعيدا، صرخت الأمّ:" لا.. لا تضربها هي اضربني أنا فقط، هل تريد قتلها كما قتلت مريم؟ ما مشكلتك ما هذا الغضب الّذي بداخلك نحو بناتك؟ لما تحاول جعلهم يدفعون معي ثمن غلطتي؟" صرخت نورة:" كنت أعرف أنك مجرّد قاتل ووحش

في ثياب أب، كنت أعلم أنك قتلت مريم، سأخبر العالم كله بجريمتك، وسوف تعاقب وتسجن." انهال عليها بالضرب قائلا:" أتظنين أنك أصبحت محامية بالفعل، وتريدين إدخالي السّجن؟" حاولت والدتها إنقاضها لكنه كان أقوى، ولم يتركهما حتّى جعل جسميهما ملآ بالكدمات ثمّ أقفل عليهما الباب، وغادر كعادته. بكت نورة كثيرا عندما عرفت أن أختها قتلت، ولما حاولت والدتها إسكاتها رفضت أن تلمسها قائلة:" أيَ أمَ أنت كيف تتستّرين على قتله لابنتك حتّى الحيوانات تدافع عن صغارها، كيف أمكنك الدفاع عن القاتل؟!" بقيتا محبوستان لمدّة شهر ونصف حتّى انتهى الطّعام، وافترسهما الجوع، ممّا جعل نورة تتمنّى لو يأتي ويقتلها هي الأخرى لعلّها ترتاح، في تلك الأيّام كانت العطلة على وشك الانتهاء، فقد بقيت أيّام معدودة لبدء التّسجيلات في الجامعة، كم رغبت نورة في التحرّر كي تعود إلى الدّراسة، و هذه المرة ليس من أجل طلاق أمّها فقط، و إنّما لإدخال والدها السّجن بتهمة قتل ابنته.

وأخيرا عاد الأب بعدما تأكّد أنّ الجوع قد فتك بهما، وحقّق ما كان يريده من عذاب، دخل إلى

البيت حاملا مواد غذائية ودقيقا، ولكن كلتاهما لم تفرحا بقدومه؛ فالجوع وألمه أفضل من وجهه العابس، عندما دخل غرفته ليرتاح سألت نورة والدتها:" لماذا لم تحاولي الهروب كلّ هذه السّنوات؟" قالت لها:" هل تفكّرين في الهرب؟ إيّاك أن تفعلي، لقد حاولت في الماضي كانت مريم – رحمها الله - في الثالثة من عمرها، هربت منه لكنه وجدني فأشبعني ضربا، وسرقها منّي فما كان سبيلي غير الرّجوع متوسّلة له، وكلّ مرّة كان يهدّدني بحياتكما، لا تفكري في الهرب يا نورة سوف أحاول إقناعه كي يتركك تذهبين لمواصلة الدّراسة."

فكرت نورة أن تباغتهما وتفرّ، لكنّها لا تملك المال و ليست واثقة من وجود خليل في عيادة القرية ليساعدها، علمت أنّ الفرار وحده غير كاف، يجب أن يرضى والدها كي يعطيها فقط أجرة النّقل و الباقي ستتدبّر أمره. ضحك والدها كثيرا عندما قالت له أمّها:" أترك نورة تذهب لمواصلة دراستها، دعها تعيش حياتها لا تقع في نفس الخطأ وتحبسها حتّى تموت كأختها." قال:" ماذا ...؟ تدرس

لترسلني إلى السّجن؟ لن أسمح لها بمغادرة هذا المنزل." اتّجه إلى غرفتها غاضبا ومزّق كتبها، و حقيبة يدها كي لا تفكّر في مواصلة الدّراسة مرّة أخرى، أحسّت نورة بدمار أحلامها، و اسودّت الدّنيا في عينيها، فلم تجد حلّا لأنّه مجرّد أب قاس و عنيد لن يرضى أبدا، و لن يغير قراره، بدأت تجمع الكتب الّتي مزّقها، و تلملم أجزاء حقيبة يدها المفضلة، فسقطت أوراق نقديّة ملفوفة بإحكام كان مبلغا كبيرا تجهل وجوده في حقيبتها، احتارت كثيرا و سألت نفسها:" من يمكن أن يكونِ قد وضعه لي في الحقيبة؟!" فرحت كثيرا فقد وجدت حلا لمشكلتها، و ذلك بهروبها فهو لم يسأل عنها طيلة السّنة الدّراسية الماضي، فكيف يسأل هذه المرّة؟، فهمّه ألا يصرف عليها فلسا من نقوده الّتي لا تعرف مصدرها، كانت تتأهّب للهروب تارة و تتردّد لأنّها خائفة على أمّها تارة أخرى، حاولت أن تخبرها لعلّها تقرّر الهرب معها لتبحثا عن مكان آمن تعيشان فيه بينما هي تواصل دراستها، لكنّها خافت أن تمنعها، و تحاول حبسها فهي لا تحبّذ فكرة الهروب. كانت تودعها من خلال نظراتها راغبة في احتضانها

وتقبيلها، وطلب الصّفح منها لأنّها هذه المرّة لو ذهبت سيطول غيابها، فقلبها امتلأ حقدا، وكرها أكثر على والدها، ولن تعود إلاّ كمحامية لتدمّره و تكسر قسوته، فبعد اليوم لن تشفق عليه أو أن تجعل حنانها ينطوي أمامه لمجرّد كونه أبوها. بينما هي ترتّب أغراضها بكلّ هدوء كي لا يشعر والدها، وجدت ساعة اليد الّتي اشترتها له هديّة ظنّا منها أنّه قد تغيّر، نظرت إليها لتجدها قد توقّفت فقالت لها:" يا ترى متى توقّفتي؟ لا بدّ أنه وقت دخولك إلى المنزل معي، بعد أن تعرّفت على قسوة والدي قرّرت الموت قبل أن يضعك على معصمه الطّاغي والعاشق للضّرب والعذاب، أنا لا ألومك أيّتها السّاعة المسكينة." خبأتها في درج والدها، تاركة معها كلّ أسفها وآهاتها المؤلمة.

ظلّت نورة تنتظر الوقت المناسب للهرب، وهذه المرّة بوجود والدها لأنّه لا يقفل الباب بالمفتاح في وجوده، ظنّا أنّه يستطيع إخافتها كالعادة، و ما إن غطّ في قيلولته، و انهمكت أمّها في المطبخ تعمل، حملت أغراضها و فتحت الباب خلسة، فسمعت صوتا دافئا ينادي:" نورة توقّفي." إنّه صوت أمّها

التفتت لتراها فاتحة ذراعيها قائلة:" ألن تودّعيني؟" ألقت نورة حقيبتها، وأسرعت إلى حضن أمّها لتقول:" أمّي سامحيني يجب أن أذهب." قالت لها:" اذهبي ...اذهبي لن أتركه يقتل أحلامك كما قتل أختك." حضنتها و قبّلتها مسرعة خائفة أن يصحو والدها فيمنعها، كانت يدا الأم تدفعان نورة إلى الخروج، و لكن قلبها كان يريد احتضانها أكثر، حتّى نورة أثقل الدمع أرجلها، و كأنّها تحاول الإفلات من القسوة و الظلم و الألم الّذين يمسكون بها، حتّى غادرت الحي، و ركبت الحافلة المتّجهة إلى المدينة، و هي تعيش أصعب اللّحظات و الثواني في حياتها، فمن جهة خافت أن يلحق بها والدها، و من جهة أخرى خافت على أمّها الّتي ستضرب بسبب هروبها. و أخيرا انطلقت الحافلة، أخرجت نورة رأسها من النافذة، و هي تنظر وراءها باكية، كأنّها تريد من الرّياح الّتي تضرب وجهها أن تأخذ دموعها و أحزانها لتعيدها إلى القرية؛ فهي لا تريد أخذها معها إلى المدينة، لكنّ جروحها لن تشفى، و دموعها لم تتوقف عن التدفّق طول الطريق

عندما وصلت إلى المدينة قصدت الإقامة الجامعيّة وجدتها مقفلة، جلست عند الباب و حدثته في نفسها قائلة:" لم أظن أنّني سأعود، لكن يا لي هذا الوضع كنت آخر فتاة خرجتك، و أوّل فتاة تطرق أجزاءك !" شعرت بالحيرة أين تذهب، فهي لا تعرف سوى كنزة و لكنّها لا تريد من فؤاد أن يراها على تلك الحالة، حملت حقيبتها الخفيفة، و جرت همومها الثّقيلة في خطوات متباطئة و متلاطمة من شدّة الحيرة، و الضياع إلى أن وجدت نفسها عند عيادة خليل ابتسمت و قالت:" كيف نسيت خليلا؟ سوف يساعدني." تفاجأت بغيابه فليس من عادته غلق العيادة لوقت طويل، لم تكن تعلم أنّه في تلك اللّحظات كان في قريتها ينتظر تحسّس أيّ خبر منها، و حتّى هو لم يكن يعلم أنّها عند باب عيادته تجلس كئيبة، انتظرته كثيرا، و قالت في نفسها:" لا شك أنّه في القرية، ليتني ذهبت إلى عيادة القرية لأخبره بفراري، لكنّ الحزن و الدّمع أعميا عينيا، فلم أر شيئا سوى الحافلة المتّجهة إلى المدينة." حلّ عليها اللّيل وهي تجلس عند باب العيادة، رغم تأكدها من عدم مجيء خليل إلا أنّها لم تجد مكانا

آخر تذهب إليه، و لم تخف من مشاكسات الشّباب السّكارى الّذين ينشرون المشاكل في الشّوارع، ففي عينيها البارزتين غضب أخافهم منها، و شجاعتها جعلتهم يصرفون أنظارهم عنها، لم يعرفوا أنّ مشاكساتهم و ظلمهم لا يعني لها شيئا مقارنة بقسوة والدها. كادت تتجمّد من شدّة البرد في ليلية خريفيّة، ترقص فيها النّسمات الباردة بين الشّوارع والممرات فرحة بفرار الحرّ مع غياب الصّيف.

وبينما خليل يمرّ على العيادة قاصدا بيته لمح شخصا غريبا ينام على باب العيادة. قال في نفسه:" لا بدّ أنه أحد المشرّدين، احتضن اليوم بابي لينام فيه." واصل سيره وهو ينظر إلى ذلك المتشرّد المسكين الّذي أشفق عليه، ولم يستطع المواصلة عاد إليه لعلّه جائع أو مريض يحتاج دواء. ما إن أوقف السّيارة رفعت نورة رأسها لتجده خليلا، أمّا هو فقد اقترب قائلا:" من تكون؟ هل تحتاج شيئا؟" لم تستطع نورة التّكلم وكأنّ قواها انهارت، وقرّرت الاستسلام بمجرّد رؤيتها لخليل. عندما حاول التأكد من سلامة الشّخص المجهول بالنسبة له، اقترب أكثر ليجدها نورة، صاح بأعلى صوته:"

نورة أهذه أنت؟ حاول جعلها تتكلم فلم تستطع الرد." أسرع إلى فتح الباب وأدخلها كي يدفئها، وبعد انتعاشها، و شعورها بدفء المكان استرجعت قواها، و بدأت تروي له قصّة هروبها بعد أن حبسها والدها عندما اكتشفت أنّه هو قاتل أختها، و سبب موتها لم يكن سقوطا بل دفعا من والد قاس، و أخبرته أنّها من شدّة رغبتها بالفرار لم تدرك أنّ التّسجيلات قد بدأت، أمّا الإقامة لن تفتح أبوابها إلاّ بعد خمسة عشر يوما، فلم تجد مكانا تذهب إليه.عرض عليها الذّهاب إلى منزله لتكون بين إخوته و أمّه فرفضت، و طلبت بقاءها في العيادة إن لم يكن له مانع، وافق فهو لم يشأ إرغامها على شيء، ثم استأذنها قليلا حيث ذهب إلى المنزل و أحضر لها بعض الطّعام، و أغطية كي لا تشعر بالبرد. كانت نورة جائعة كثيرا، تناولت الطّعام الّذي أحضره لها، ثم غطّي جسمها المنهك من شدّة البرد والتّشرّد، ظلّ يراقبها حتّى استسلمت للنّوم بعد صمت خنق أنفاسها، فصدرت منها كأنّها أنين موجع، كان ذلك الأنين صعب جدا على خليل، فرغم كونه طبيب تعود على ألم مرضاه وأوقفه مرارا إلاّ أنّ ألم نورة

كان جديدا عليه، لم يستطع إيجاد دواء له سوى مشاركتها إيّاه لعلّه يخفّف عليها نصيبا منه. عندما نامت خرج، وأقفل الباب كي لا يستطيع أحد الدّخول إليها، كان يودّ البقاء بجانبها و لكنّه قرّر تركها حرّة كي تجد في عيادته بيتا يمكنها البقاء فيه دون حرج، غادر و كأنّه أوصى دفاتره و كتبه و أثاث العيادة، و جدرانها أن تحتضنها بكلّ دفء. واختلطت أحزان خليل على حبيبته بفرحته لرجوعها إلى عيادته، عاد إلى المنزل ليرتاح وكأنّ شيئا ضاع منه فاسترجعه بالقوّة.

ظلت نورة في العيادة تساعده وقت عمله، وتسدّ فراغها بمطالعة الكتب في يوم دوامه بالقرية منتظرة قدومه لتسأله عن أحوالها، وقد طلبت منه قبلا أن يزور قبر مريم، ويراقب منزلها الكئيب، و كان كلما عاد تخاف أن يقول لها:" لقد زرع قبر بجوار قبر مريم إنّه قبر أمّك." كلّ ما كان يخيفها أن يقتل والدها أمّها مثلما قتل أختها. أتاح لها البقاء في العيادة التّعرف أكثر على حياة خليل الشّخصيّة، حيث أكثرت السّؤال عن أسرته في الأوقات الّتي كانا يمضيانها معا، أخبرها أن أسرته صغيرة، لديه أم

وأختان وهو يرعاهنّ، فقد مات والده منذ خمس سنوات تاركا له تلك العيادة. احتارت نورة وقالت له:" هل أعزيك لخسارة والدك أم أهنئك أي نوع من الآباء كان أبوك؟" أجاب:" لقد كان أبا حنونا محبّا للنّاس، وقد درست الطّب لأكون مثله محاربا لألم النّاس وأواسيهم، وحزنت كثيرا على موته، ولم أتقبّل الأمر بسهولة في بداية الأمر." شعرت نورة بالخجل من كلامها، وبالأسف لأنّها ذكّرته بفقدان والده فصحّت جرحه.

ما إن فتحت الإقامة الجامعيّة أبوابها حتّى كانت نورة أوّل داخلة لها متذكّرة يوم ذهابها، و تمنّت لو أنّها لم تذهب لتبقى أختها حيّة في فكرها، لكن ما الفائدة من كلّ ذلك فالفرار من القدر أمر مستحيل، دخلت غرفتها و بدأت تنظيفها و ترتيب أغراضها، فجأة طرق الباب، عندما فتحته وجدت كنزة صديقتها الوفيّة، الّتي انتظرت انتهاء العطلة بفارغ الصّبر لتراها و بين عناق و قبلات شوق، و سؤال عن الأحوال، شعرت كنزة بحزن صديقتها، لكنّها حاولت جعلها تتفاءل بقدومها، و تحاول نسيان ما حدث في المنزل. قالت نورة:" ماذا أنسى

يا كنزة؟ هل أنسى أختي الّتي وجدتها تحت التراب؟ أم أنسى صراخ أمّي عندما كان يضربني أبي تقول: أ تريد قتلها كما قتلت مريم؟ أم أنسى حبسه لي كي لا أصبح محامية وأفضح جرمه؟ أم أنسى فراري مشردة لمدّة خمسة عشر يوما لولا الدّكتور خليل؟" صدمت كنزة من كلّ ما سمعته فهي لم تتوقّع أن تصل الأمور إلى القتل. شاركتها البكاء بعد أن عجزت عن مواساتها، وإن كانت قبلا قد استطاعت زرع الضحكات على ثغرها، فاليوم هي عاجزة لأنّ جرح نورة أصبح أكثر عمقا و الضّحك لن يجد سبيلا حتى لكنزة أمام المصاب الجلل، فحاولت التّخفيف عنها كي تشعر أنّ لها أختا بعد مريم، و صارت تمضي معها وقتا طويلا طاردة الوحدة من عينيها، خاصّة و أنّ ساعات الدّراسة لم تبدأ بعد، أمّا فؤاد فقد سرّتها رؤيته كثيرا، و أمضت معه وقتا جميلا، محاولة فيها معرفة سرّ حنانه المنسوخ من حنان والده الّذي طالما أرادت نورة لمسه من خلال حديث كنزة عنه. وهكذا مضى وقت نورة من دراسة وعمل عند خليل، و لهو مع كنزة و فؤاد، و قد تعوّدت كلّ صباح أن تستلم أزهارا من

المرسل المجهول الّذي حاولت كثيرا معرفة من يكون، لكن دون جدوى.

في أحد الأيّام كانتا الصديقتان في الحديقة تتسامران كالعادة، فجأة شعرت كنزة بألم شديد في بطنها، خافت نورة كثيرا، فأخذت هاتفها لتتّصل بفؤاد، أخبرته بمرض أخته وأنّهما في الحديقة، ما إن أقفلت نورة المكالمة وأرجعت الهاتف لكنزة، حتى وصل فؤاد ملهوفا وفزعا على أخته الصّغرى، حملها و أسرع بهما إلى المستشفى. أكثر الصّراخ على الأطبّاء و الممرّضين من شدّة خوفه كي يسعفوها سريعا، فهو لم يستطع تحمّل صراخ أخته و ألمها، و عندما فحصها الطّبيب وجد أنّه لا بدّ من إجراء عمليّة جراحيّة لها لإزالة الزّائدة الدّوديّة، كاد يجنّ فؤاد من القلق عليها، و نورة تحاول تهدئته و قد منعته من الاتّصال بوالديه حتى يتأكّد من سلامتها بعد انتهاء العمليّة، و لكونها بسيطة فما من داع لإفزاع أمّه.

ظلّت نورة معه طيلة ساعة العمليّة تراقب خوف فؤاد وبكاءه على أخته، لم تظنّ يوما أنّ الرّجل بإمكانه البكاء، تمنّت لو تمرّض لترى إن كان سيبكي

عليها أيضا، فهي تعلم جيدا أنه يحبها، لكنّ خوفها من وجود قسوة في قلبه مثل والدها جعلتها تهرب من مشاعرها، وبعدما رأت حنانه انحنى قلبها أمام دموعه وسلّمته مفاتيحها بكلّ سهولة. بعد مدة من انتهاء العمليّة الّتي كانت بسيطة مقارنة ببقيّة العمليّات الجراحيّة المستعصية، و الغير أكيد نسبة نجاحها إلاّ أنّ فؤاد كاد يفقد وعيه من شدّة الخوف و القلق، دخلا إلى غرفتها لما سمح لهما الطبيب بذلك فجأة فتحت كنزة عينيها و أفاقت من التخدير، فرحا لسلامتها، و وصفا لها شدّة رعبهما عليها، بدأت نورة تسرد حال فؤاد وقت العمليّة مذهولة بكلّ ما رأته، و عندما تأكدت من سلامة صديقتها قرّرت المغادرة فقد حان موعد عملها، كان فؤاد قد ذهب إلى المنزل لإحضار أمّه، فضل إخبارها مباشرة كي لا تجزع و يستطيع تهدئتها.

وصلت نورة إلى العيادة وباشرت العمل، وفي عينيها إعجاب كبير بفؤاد و تصرّفاته، أحسّ خليل بوجود شيء غريب يحدث معها، فهو قد حفظ كلّ ملامحها، و بات يفهم كلّ ما تشعر به حتّى دون أن تتكلّم. عندما سألها قائلا:" هل من جديد؟" قالت:"

لقد مرضت كنزة، وأخضعت لعملية جراحية حيث نزعت الزائدة الدودية." قال:" هل هي بخير الآن؟" قالت:" نعم... آه يا خليل لو ترى ما فعله فؤاد أخوها عندما كانت في غرفة العمليات، لم يستطع التوقف عن البكاء من شدة الخوف، أنا لم أر رجلا حنونا مثله." شعر خليل بالغيرة فقد أدرك أنّ نورة ستقع في شباك حبّ فؤاد، وكعادته كتم نار غيرته، قال في نفسه:" ربما يستطيع فؤاد إسعادها أكثر منّي" واصلت نورة زيارة كنزة في المستشفى كلّ مساء، و كذا رؤية فؤاد الّذي أصبح يشغل فكرها أكثر فأكثر، توطدّت العلاقة بينهما كثيرا، و ذات صباح لم يناديها الحارس ليقدّم لها الوردة ككلّ صباح، تساءلت عن سبب غياب الوردة المجهول مرسلها، و فجأة ناداها فؤاد فرحت لرؤيته كثيرا ألقى عليها التحيّة ثم قدّم لها وردة، مسكتها و التفتت إلى باب الإقامة، و كأنّها تحاول معرفة إن كان هو من يرسل وردا كلّ تلك المدّة، عرف فؤاد أنّها تودّ أن تسأله فأجابها:" نعم أنا كنت أرسلها لك كلّ صباح لتقول عنّي صباح الخير و يوم سعيد." عرفت نورة أنّه كان يحبها فعلا و هي لم تشعر، صارحها ذلك اليوم

بحبّه، و صارحته هي الأخرى بحبّها لتدخل بذلك عالما جديدا، عالم السّعادة بلا ثمن، و عاشت اهتماما من فؤاد لم تشعر به في حياتها، ماتت الأيّام و الشّهور و حتّى السّنوات في حياة نورة بوجوده، فقد لوّن حياتها بعدما كانت سوداء في الماضي، جعلها تمرّ بسرعة بعدما كانت طويلة و مملّة، و قد أضاف إلى ضعفها قوّة بحضوره إلى جانبها معظم الأوقات، و تقديم المساعدة و المساندة في جميع الحالات.

وبينما هي سعيدة مع فؤاد، كان خليل يحترق وهو يراقبها معزّ نفسه بكونها سعيدة، سأل عن فؤاد كثيرا كي يتأكّد من صدق مشاعره وأنّه لن يتلاعب بمشاعرها، و يستغلّ وحدتها لكي يخدعها، لكنّ الجميع أقرّ له بأخلاقه الحسنة و قلبه الطيب.

واصل خليل عمله في قرية نورة وزيارة قبر أختها، وكان يحمل لها أخبار والدتها الّتي كان يلتقي بها في المقبرة، عندما تتسلّل بعد ذهاب زوجها فيسرد لها كلّ شيء عن نورة لتتأكّد من سلامة ابنتها، وهذا قد خفّف على الاثنتين معا الأم و الابنة.

و أخيرا وصل اليوم الّذي كانت تنتظره نورة، و هو يوم تخرّجها، فقد كانت من الأوائل ممّا جعل أساتذتها، يشجّعونها أكثر لتتوجّه إلى الحياة المهنيّة، متنبّئين بالمستقبل الواعد الّذي ينتظرها عارضين عليها أيّ مساعدة تحتاج إليها، و بينما كان أهل زميلاتها قد حضروا لهن حفلات التّخرج كانت نورة وحيدة، لا يوجد لها أهل سوى أمّ أعياها الحزن محبوسة بعيدا لا تستطيع المجيء، لكنّ فؤاد و كنزة و خليل كانوا أكثر من أهل أقاموا لها حفلا كبيرا، و فوجئت بوظيفة في المحكمة بفضل فؤاد و خليل اللّذان أوصيا عليها منذ شهور، كي تتحقّق أحلامها سريعا و تصبح محامية ناجحة، فرحت نورة كثيرا، لا لتحقّق حلمها فحسب و إنّما بهؤلاء الثّلاثة الّذين يسعون إلى إسعادها من أوّل يوم تعرّفت فيه إليهم ممّا جعلها تعجز عن شكرهم فلولاهم ما كانت وصلت إلى كلّ ذلك، لأنّ وجودهم في حياتها جعل طريقها سهلا .

بعدما باشرت عملها الجديد و اعتادت عليه، بدأت تجهّز أوراق طلاق أمّها، حاول فؤاد أن يمنعها كثيرا ، و ينزع الفكرة من رأسها، خاصّة عندما قرّرت

الذّهاب إلى القرية لتقوم بتهديد والدها قد خاف عليها كثيرا، و لكنّها رفضت العدول عن قرارها، و قامت بشراء منزل صغير، أرادت جلب أمّها بعد الطّلاق و الاستقرار فيه بعيدا عن والدها، و ساعدتها كنزة في اقتناء المفروشات و ترتيبه، و أخيرا صار لنورة منزلا يأويها بعد سنوات مشردة لولا الإقامة الجامعيّة و عيادة الدكتور خليل في العطل. بعد أن جهزت كلّ شيء، ودّعت فؤاد الّذي طلب مرافقتها فرفضت خوفا من أن يقتله والدها فهي تتوقّع منه كلّ شيء، وقال لها:" إن تأخّرت في العودة سآتي لا محالة فأنا لن أترك شخصا يؤذيك حتى ولو كان والدك." ودّعتهم وهذه المرّة كانت واثقة بنفسها، كانت تشعر أنّ بقوتها سوف تخلّص والدتها من سجنها ولن يستطيع والدها منعها هذه المرة. طلب منها خليل القدوم إلى عيادة القرية سيكون هناك إن احتاجت أيّ شيء، ليتسنى له مساعدتها.

انطلقت نورة إلى القرية مختلفة عن ذي قبل، فثقتها بنفسها زيّنتها أكثر، وجعلتها امرأة ساحرة بخطواتها وأناقتها، تربك كلّ من تمرّ به، دخلت المنزل لتجد أمّها في وضع مريع، فقد ضعف بصرها

من شدّة الحزن والبكاء، وانحنى ظهرها من شدّة الهموم الّتي تربعت على ظهرها فجعلته مقوّسا يكاد ينكسر، دمّر ذلك المنظر نورة فعانقتها باكية تقول:" سامحيني يا أمّي لقد تأخّرت عليك، وتركت الأيّام و أبي يمارسون العنف على جسمك فيلحقون به الضّرر، لا تقلقي لقد جئت لآخذك معي لقد اشتريت بيتا، سأحرّرك منه و نذهب بعيدا." صرخت الأمّ:" لا... اذهبي. ولا ترجعي أبدا، أنا قد انتهت أيّامي، وكثرت أمراضي، لم يبق لي الكثير لماذا تحاولين تحطيم حياتك بسببي، والدك لن يرأف بك إذا وجدك هنا، أرجوك ارحلي." قالت نورة:" هيّا نذهب لن يستطيع فعل شيء لنا، فقد ولّى العهد الّذي يضرب فيه الرّجال نساءهم هيا بنا." وبينما هي تحاول إقناعها دخل الأب، أفزع الأم كعادته، ولكنّ نورة و لأوّل مرّة لم تفزع، انهال عليها ضربا و شتما، و كأنّه يعاقبها على عدم خوفها منه، أو أنّه يقدّم لها دينا في رقبته، و هو حصّتها من الضّرب طيلة السّنوات الماضية، و قد اختلط ضربه لها مرّة، و لأمّها الّتي حاولت حمايتها بما تبقّى لها من قوّة مرّة أخرى. نورة لم تبك، و لم تصرخ و كأنّ جسمها لا

يتأثر بتلك الكدمات الّتي جعلت جسمها موطن الجروح و النّدبات، صراخها كان على أمّها و لكنّ ذلك الصّراخ جعل سكان الحيّ تقشعرّ أبدانهم عند سماعه، أمّا الأب فلا شيء يجعله يتوقّف كالعادة إلاّ شعوره بالتّعب من كثرة الضّرب، و ما إن شعر بذلك أقفل عنهما الباب، و ذهب ليرفّه عن نفسه بشيء آخر، أمّا نورة و أمّها فقد أكثرتا الصّراخ، حيث كانت نورة تحاول تحطيم الباب للخروج فلم تستطع، اجتمع أهل الحيّ كلّهم حائرين و مشفقين عنهما، فهم قد علموا بعودة نورة المحامية الّتي افتخر بها الجميع، قد استقبلها والدها بالضّرب و السّب.

كان خليل في عيادة القرية، فسمع النّاس تتحدّث عنها، أقفل باب العيادة و اتّجه إليها مسرعا ليجدها بالفعل محبوسة تريد تحطيم الباب، طلب منها الابتعاد كي يستطيع تحطيمه حاول منعه أهل الحيّ و قالوا له:" ماذا تريد أن تفعل؟ إنّ حميدو شخص شرس، سوف يقتلك أو يسجنك إذا اقتحمت بيته." قال خليل:" لا يهمّ ذلك. ولكن كيف لكم أن تسمعوا صراخ أم وفتاة، و لا تقدّموا لهما المساعدة؟!" حطّم الباب ليجدهما في أبشع

صورة من صور الظّلم والتّعاسة، نقلهما إلى العيادة ليضمّد جروحهما، وقدّم لنورة وثيقة تثبت أضرار الاعتداء و التّعذيب عليهما كي تجعل المحكمة تحكم بالطّلاق لوالدتها سريعا، ثمّ انطلق بهما إلى المدينة إلى البيت الصّغير الّذي اشترته نورة. عندما عاد حميدو للبيت وجد الباب محطم، و نورة و والدتها ليستا فيه، ثار غضبا و خرج مسرعا للبحث عنهما في القرية، فأخبره أحدهم أنّ الدّكتور خليل حطّم الباب، و أخذهما فلم يكلّف نفسه البحث أكثر، و كأنّه قد تخلّص منهما، و لا يهمّه أين ذهبتا المهمّ ألا تعترضا طريقه مرّة أخرى.

قدّمت نورة الوثائق إلى المحكمة لترفع قضيّة على والدها، وقد سهّل عليها الأمر -كونها موظّفة فيها - الاطلاع على كلّ التّفاصيل كي لا تترك مجالا لبقاء أمّها على عصمة رجل لا تربطها به سوى الجروح والكدمات. بعد شهور من انتظار الزّوج للخضوع إلى جلسات المحكمة، والّتي لم يكترث لها تارة، ولم يستطيعوا الوصول إليه بسبب غيابه عن المنزل تارة أخرى، حكمت لها المحكمة

غيابيا بالطّلاق للزوجَة المتضرّرة من العنف الممارس عليها مع التعويض المالي.

لم تفرح نورة كثيرا فهي كانت توَد اتّهامه بقتل أختها أيضا، وإدخاله السّجن لكنّ والدتها منعتها، وطلبت منها أن تنسى كلّ شيء مضى، وتحاول عيش حياتها بسعادة خاصّة و أنها أصبحت ذات مكانة و محامية ناجحة، كان من الصّعب عليها الاقتناع بكلام والدتها، و لكنّها كانت كلّما رأتها تضحك أو مبتسمة في ذلك البيت الجديد، أو عند خروجها إلى شوارع المدينة، تشعر برغبة كبيرة في محو كلّ الذّكريات من رأسها و العيش بسلام.

ذات يوم عرض فؤاد على نورة الزّواج، كاد قلبها يتوقف من شدّة الفرح، وقد ساعدته كنزة في الكذب لإقناع والدهما عندما أكثر السؤال عن والد نورة ونسبها، وإن كان يعرف عائلتها، فقال فؤاد:" لا تعرفهم يا أبي إنّها يتيمة الأب لديها أم فقط."
اضطر أن يكذب على والده لأنّه خاف من معارضته زواجهما إذا اكتشف أن والدها رجل غريب الأطوار وأنّ أمّها مطلّقة. وافق في الأخير والديه وحدّدوا يوما للخِطبة، ولكنّ نورة كانت محتارة فيمن

سيستقبل أهل فؤاد مكان والدها، فطلبت من خليل أن يكون معها في أسعد لحظات حياتها لأنّها تعتبره صديق مخلصا وأخا كبيرا صدم خليل من الطّلب، فكيف يكون من يقدّم حبيبته إلى رجل آخر، كان يعيش أصعب المواقف في حياته و أصعب طلب يطلب القيام به من أكثر امرأة يريد تحقيق طلباتها مهما كانت، أجاب أنّه مشغول و سوف يحاول ترتيب أموره و إن استطاع سيحضر بالتأكيد.

كانت ليلة طويلة دقائقها على الجميع، ففؤاد كان متشوّقا لوضع الخاتم -الّذي بات ينظر إليه- في يد نورة، بينما هي كانت تتذكّر كلّ ما عاشته، تذكّرت أختها وودّت لو تكون معها لتساعدها على لبس فستان الخِطبة، و تمشط شعرها كما كانت تفعل كلّ صباح لتذهب إلى المدرسة، و تخيّلت لو أنّ والدها كان حنونا، فيكون حاضرا و يقدّمها إلى الرّجل الّذي أحبّته، أمّا خليل فقد كان يحاول استيعاب فكرة زواجها و خسارتها للأبد.

في الصباح بدأت نورة تجهّز نفسها مرتبكة، و قد أكثرت سؤال أمّها - في كلّ دقيقة تمر- إن كان خليل سيأتي، و تنظر من خلال النّافذة إلى أن رأته

آت يحمل ورودا و حلويات أرادها أن تستقبل أهل
فؤاد في ظروف حسنة، فرحت كثيرا بمجيئه، و
سألته عن فستانها و شعرها إن كانت جميلة، كان
هو يحدّق إليها بنظرة إعجاب كعادته محاولا إخفاء
حزنه على خِطبتها. في حين كانت والدتها تراقب
كلّ شيء، ثم اصطحبت نورة إلى المطبخ و قالت
لها:" يا ابنتي هل تحبين خليلا؟" ضحكت و قالت:"
ماذا؟ لا يا أمي لقد قلت لك مرارا إنّه صديقي، و قد
طلبت منه أن يكون كأخ لي في خطوبتي."

ردت أمّها:" نورة إنّ طريقة حديثك مع خليل
مختلفة جدّا عن حديثك مع فؤاد، كما أنّني أشكّ
في أنّ خليلا يحبّك." صمتت نورة قليلا ثم قالت:"
أنا متأكّدة من حبّي لفؤاد." أجابتها أمّها بعد تنهيدة
حزينة:" لا تفعلي ما فعلته أنا، لا تتزوّجي من رجل
لا تحبّينه فتعيشين حياة كئيبة كحياتي."
قالت:" لا تخافي يا أمّي فؤاد أحنّ رجل عرفته في
حياتي."

رنّ جرس الباب فارتبكت نورة كثيرا، وكاد قلبها
يتوقف من شدّة التوتّر، طلبت والدتها من خليل
فتح الباب واستقبالهم ريثما تهدأ نورة، رحب بهم

خليل و سلّم على فؤاد و الأب و طلب منهم
الدّخول، استغرب عندما رأى الوالد فوجهه بدا
مألوفا. بعد جلوسهم دخلت نورة ووالدتها عليهم
والفرح باد على وجهيهما، فجأة تنقلب فرحتهم
تجهّما و رعبا، و كأنّ الضّحكات سرقت منهما، رأت
نورة شبح والدها وسط أهل فؤاد، ظنّت أنّها
أصبحت تهلوس، و لكن لما سمعت أمّها تقول:"
حميدو.." عرفت أنّه حقيقة لا شبح، وقف حينها
الأب مذهولا غير قادر على الكلام. قال فؤاد:" أبي
هل تعرف نورة وأمّها؟" صدمت نورة وقالت:" يا
فؤاد إنّه أبي." وقف الجميع فزعين من قول نورة،
والأب احتار وقتها أيّ قناع يضع؛ قناع الأب
القاسي والد نورة أم قناع الأب الحنون بالنّسبة
لكنزة و فؤاد؟! صرخ فؤاد وهو يلطم رأسه:" انطق
يا أبي هل ما تقوله نورة صحيح؟" سكوت الأب
كان جوابه، و أصبح الجميع ينظرون إلى بعضهم،
سقطت نورة أرضا لم تستطع الوقوف أكثر
فأسرعت إليها أمها لتمسك بها، قالت:" كنت أواعد
أخي؟ كنت سأتزوج أخي...." نطقت أم فؤاد:" ما
بك يا حميدو؟ أجب، أخبر الجميع أن هذا كلّه

تمثيل، كيف لهذه الفتاة أن تكون ابنتك؟" جلس الأب و قال:" سأروي لكم كلّ ما حدث، قبل سبعة و عشرين سنة كان هشام و فؤاد قد ولدا بدأت عملي في القرية، و أصبحت أسافر للعمل هناك تارة، و أعمل في المدينة تارة أخرى، استأجرت بيتا وضيعا سكنت فيه خلال عملي، و في إحدى اللّيالي خرجت بحثا عن متجر لشراء السّجائر، فجأة و في إحدى شوارع الحيّ التطمت بي فتاة كانت تحاول الفرار و الاختباء، لم أفهم شيئا، ففي قرية كتلك القرية لم تكن النّساء تخرجن في النّهار فما بالك باللّيل، و بينما أنا أحاول مساعدتها لتقف و أطمئنّ على حالها، اجتمع حولنا مجموعة من رجال الحيّ كان من بينهم والد الفتاة، قاموا بضربي و ربطي، و حاولوا قتلي دون أن أعرف السّبب، حتّى سمعتهم يقولون:" كيف لك أن تدوس على شرفنا و تحاول الفرار مع ابنتنا؟" حاولت مرارا إخبارهم أنّي مجرّد عامل بسيط، متزوج و أب لولدين، و لا تربطني أي علاقة بهذه الفتاة، و لكنّ هذه المرأة الّتي أمامكم لم تخبرهم أنّها لا تعرفني صمتت، و صمتها حطّم حياتي، أرغموني على الزّواج بها، بعدما لاذ عشيقها

بالفرار، تزوّجتها مكرها، و حاولت مرارا أن أطلّقها، لكن إن طلقتها سيقتلونني، و إن فررت من القرية سأتعرض للإفلاس فعقد عملي كان لمدّة عشر سنوات، و فسخ العقد قبل أوانه سيجعلني ملزما على دفع تعويض، لذلك رضيت بالوضع، فأنجبت لي بنتين رغم تهديدي لها بعدم الإنجاب، و محاولاتي العديدة لإجهاضها، و لكن شاء للبنتين أن تربطاني بها طول العمر، و أردت حبسك يا نورة كي لا تكشفي أمري، و لكنك هربت و من بين جميع شباب المدينة وقعت في حبّ أخيك." قالت نورة:" كيف لك أن تجعلنا ندفع ثمن غلطة؟ حتّى وإن كنت تزوّجت أمّي مرغما، فكيف لك أن تكرهني أنا و مريم؟ وكيف لك أن تجعلنا نموت جوعا، و فقرا و أنت غنّي؟! كيف أمكن لقلبك أن يكون قاسيا و حنونا في وقت واحد؟ كنت أظنّ أنّك كرهتنا لأنّنا بنات، و لكنّك تحبّ كنزة كثيرا، و هي بنتك مثلنا؟! كيف أمكنك أن ترميني بعيدا دون سؤال و أنت أحنّ أب عند أولادك الآخرين، كيف أمكنك أن تجعل لك قصرا دافئا بحنانك، و تحبسنا في كوخ وضيع و بارد بقسوتك؟ كيف لك أن تحب كنزة كثيرا و

تعتبرها كنزا، و تقتل مريم بيديك و ترسلها إلى القبر، ظننت أنّي قد هربت منك بعيدا مع أمي، و لكنّك تلاحقني أينما ذهبت بقسوتك، و الآن تفاجئني بحنانك الّذي جعلني أقع في حبّ ابنك الّذي يشبهك فأجده أخي." تأثر الجميع بكلامها خاصة كنزة قالت له:" آه يا أبي. لو أنّك تعرف كم كرهتك عندما كنت أرى دموع نورة، وأعجز عن إزالة الأحزان عنها، إنّما حنانك لنا مزيف، فما من قلب حنون يستطيع أن يكره مثلك و يقتل ابنته، أنت في نظري مجرّد قاتل، و قد صرت أكرهك أكثر." غادر فؤاد المنزل محبطا متألّما من كل ما سمعه، ومصدوما من المرأة الّتي أحبّها و كان سيتزوّجها تحولت إلى أخت غير شقيقة، لحقت به كنزة فهي تعرف كلّ ما يشعر به، لم تشأ تركه وحيدا. صرخت أم فؤاد في وجه زوجها قائلة:" ما هذا الخداع الّذي جعلتنا نعيش فيه، لماذا لم تخبرني لكنت تقبلت الوضع، وما كانت الأمور تصل إلى هذا الحدّ لماذا تحطّم حياة أولادك، لو تعلم حجم الألم الّذي رأيته في عيون نورة عندما زارتنا في المنزل، تمنّت لو كنت أنت والدها، و لكنّك كنت نفسه سجّانها، إنّك أب وضيع و زوج مخادع،

إيّاك أن تأتي إلى البيت فكلّ أبنائك باتوا يكرهونك." رحلت في أسف كبير تبكي و رافقها ابنها هشام الّذي لم يفهم شيئا، قامت أمّ نورة و قالت لزوجها:" اذهب الآن مع أسرتك السّعيدة الّتي بنيت قصرها على الكذب." ما إن غادر حتّى أجهشت نورة بالبكاء و النحيب على حظّها الّذي جعلها لا تحبّ في تلك المدينة رجلا منها سوى أخاها، أدركت أنّ والدها ليس الوحيد الّذي يقسى عليها؛ فحتّى الأيّام تحبّ مباغتتها لتجعلها حزينة، حاول خليل إسكاتها بعد ذهوله الشّديد لكلّ ما سمع، و رأى كما أنه فسّر وجه الأب المألوف الّذي رآه قبلا ذلك الوجه الّذي يمكنه في لمح البصر تغيير ملامحه، و كأنّه ممثل بارع على مسرح الحياة، فلم يجد ما يقله لأنّه لم يسمع بقسوة كهذه. أمّا أمّها فقالت لها:" سامحيني يا ابنتي لقد دفعت أنت و مريم ثمن غلطتي أنا، كنت شابّة عندما طرق الحبّ باب قلبي فوقعت في حبّ شابّ كان يراسلني خفية، و عندما قرر والدي تزويجي من رجل كبير السّن، قرّرت الفرار مع الشّاب لكنّه فرّ و تركني قائلا أنه لن يتزوجني و هو لا يحبّني أصلا. و بينما أنا أحاول الرجوع إلى

المنزل كان والدي قد أحسّ بغيابي و خرج بحثا عني ، فقررت الهرب وحدي حتّى التقيت والدك كلّ كلامه كان صحيحا، لقد صمتت ظنّا منّي أنّه سيكون مخلصي من القتل، لو أخبرت والدي أنّ من حاولت الفرار معه فز و تركني كان سيقتلني لا محالة، ظننت أنّ والدك سيسامحني إذا عرف لاحقا أنّني طاهرة و عفيفة، لم أكن أظنّ أن قسوته ستملأ قلبه أكثر فأكثر، لم أخبرك أنت و أختك من قبل لأنّه هدّدني لم يشأ أن تعرفوا بوجود أخوة لكما في المدينة، قالت نورة:" لا عليك يا أمّي فأنت لم تخطئي في شيء، و حتّى و إن أخطأت فنحن نبقى بناته لماذا عاملنا بتلك القسوة ، هل كان يثأر منا؟ هل نجح و أشفى غليله يا ترى؟" حاول حميدو الاعتذار من أسرته - الّتي كانت سعيدة- بكلّ الطّرق فمن الصّعب عليه خسارتهم، أمّا نورة و أمّها لم يكترث لأمرهما كان يحاول تقديم طبق الاعتذار إلى الأشخاص الّذين لم يعاملهم إلّا بالحبّ و الحنان متجاهلا من آذاهم بكلّ قواه، ترجّى كنزة و فؤاد، و ركع أمام زوجته ليسامحوه و لكنّهم رفضوا ذلك، فأصبح منكبّا على شرب الخمر بدلا من طلب الصّفح

من نورة، أصبح مدمنا على الكحول شريدا وحيدا في نفس الشّوارع الّتي جابتها نورة، كأنّ الحياة تريده أن يتذوّق طعم الأسى و الظّلم.

تجنّبت نورة فؤاد كثيرا، فهي لم تستطع مواجهته وحتّى هو بات يخجل الخروج كي لا يسأله أحد عن حبيبته السّابقة الّتي تعوّد الجميع رؤيته معها في الحدائق والطّرقات، أمّا كنزة فقد ذهبت إلى بيت نورة ذات يوم لتحتضنها قائلة:" لقد كنت أعرف أنّك لي أخت، كان قلبي يشعر بقربك لي، هل ستعتبرينني أختا أم أنّك ستكرهينني بسبب والدنا؟" أجابت نورة:" إن كرهتك بسبب أبي، فأنّي مثله ولا أختلف عنه في شيء، أجعلك تدفعين خطأ غيرك، أنت أختي قبل أن أعرف الحقيقة، وفي نظري طالما كنت هكذا لقد شممت فيك عطر مريم." وإن كان حميدو قد خسر كلّ شيء فإنّ نورة كسبت الكثير، كسبت أختا لا تعوّض مثل كنزة، وأخوين بعد مرور الوقت ستقترب منهم أكثر فأكثر.

بعد الكتمان الطّويل الّذي أسر مشاعر خليل، قرّر البوح لها بكلّ ما يشعر به، وسرد لها كلّ ما كان

يخفيه عنها من شوق وإعجاب، فرحت نورة بذلك فهي قد اكتشفت حبّها لخليل الّذي لم تميّزه من قبل، فهو لم يكن لها مجرّد صديق، إنّما حبيب اعتادت وجوده في حياتها، أدركت الوضع في ذلك اليوم عندما سألتها أمّها عن سبب اهتمامها به، وبعد اكتشافها لحقيقة أنّ فؤادا أخوها، عرفت قيمة خليل الّذي شاركها كلّ أحزانها، وحتّى أفراحها دون ملل أو تذمّر. كاد قلب خليل أن يتوقّف عندما عرف مشاعرها اتّجاهه، فقد تحقّق أكبر حلم في حياته، وسعى إلى إسعادها بكلّ ما أتيح له من قوّة، عرض عليها الزّواج، وما إن وافقت أحضر أهله لخِطبتها حيث شاركتها كنزة وأمّها الاحتفال بالخِطبة، ولقد فرحوا لها كثيرا، فأخيرا الفتاة المسكينة سوف تعرف طعم السّعادة بعد كلّ المعاناة الّتي عاشتها.

ذات يوم كانت نورة عند خليل في العيادة، قامت بزيارته بعد انتهاء عملها، ولتتأكّدَ أنّه ما من فتاة تعمل عنده، فتحاول سرقة قلبه منها. بينما هما كذلك سمعا صراخا في قاعة الانتظار، فقد كان هناك رجل مريض جدّا وجد ملقي على الأرض، فنقله بعض الرّجال إلى العيادة، طلب منهم إدخاله إلى

مكتبه، فتفاجأ هو و نورة عندما وجداه حميدو- أبو نورة- لم تكد تعرفه فلأوّل مرّة ترى والدها ضعيفا مجهدا يتألّم، و بينما خليل يفحصه بقيت هي تراقب، كأنّها لا تصدّق ذلك لا تصدّق الحالة الّتي أضحى عليها والدها القويّ، وجد خليل حالته حرجة بسبب إدمانه على الكحول و سوء التغذية، تأثرت لحالته فرغم كلّ شيء يبقى والدها، لم تشأ أن ينتبه لوجودها، خرجت مسرعة متوجّهة إلى بيته لتروي ما حدث لزوجته و أبنائه و وصفت لهم الحالة الّتي أضحى عليها والدهم، حيث سألتهم عن سبب غضبهم الشّديد منه و هو الّذي لم يسئ معاملتهم، أخبرتهم أنّ والدها مريض جدّا بسبب إدمانه على الكحول لم يؤثّر عليهم كلام نورة كثيرا بقدر ما دهشوا من هذا القلب الطّيب، قلب الابنة الّتي لم تر من والدها إلّا الإساءة، جاءت اليوم لتعلم زوجته و أبناءه كيف يسامحونه، و هم الّذين عاملهم بكلّ حبّ و حنان، و كأنّه سرق حصّتها و حصة أختها ليمنحهم إيّاها، انطلقوا إلى العيادة كي يطمئنوا عليه و يعيدوه إلى البيت.

عندما رأى خليل نورة أخبرها أنَ إخوتها قد جاؤوا لأخذ والدها، و أنّهم قد صفحوا عنه أخيرا قالت نورة:" أعرف ذلك فأنا قد أخبرتهم أنه ما من فائدة للغضب منه، فهو لم يسئ إليهم يوما." افتخر خليل بحبيبته الطيبة فقالت له:" لا تسئ فهمي فأنا لا أحبَ الظّلم، لم أشأ أن يظلمه أولاده مثلما ظلمنا هو." قالت هذه العبارة في أسى وحزن كبير تحاول عينيها البوح بما تشعر ولكنها تصمت، لم تستطع أن تقول لخليل أن قسوة والدها لم تنته فهو لم يطلب الصّفح منها و من والدتها، و إنّما طلبه منهم من الّذين لم يضرَهم يوما، ولم يصرخ عليهم و لم يقتل أحدهم يا لهذه الحياة العجيبة!

كان حميدو في عناية زوجته وأولاده، بعدما صفحوا عنه، ولكنّه كان شريد الأفكار خاصّة بعد أن قالت له كنزة:" إنّ نورة هي من طلبت منّا أن نسامحك رغم كلّ ما فعلته بها، لم تستطع رؤيتك متشرّدا، كما كانت هي في أيّام مضت بين الشّوارع فارة من قسوتك وسجنك." عرف حجم الخطأ الّذي ارتكبه في حياة نورة و مريم و أمّها، هو الوحيد الّذي كان يملك تفسيرا لوجود هذين الوجهين فيه،

و عن سبب امتزاج قسوته بحنانه، نعم هو قد غطّى قسوته بالحنان و غضبه من الزّواج الّذي أرغم عليه جعله يترك كلّ حنانه وراءه عندما يدخل القرية ليرى الزّوجة الّتي لن يختارها يوما تنتظره فيصبّ غضبه عليها، و عند مجيء مريم و نورة غير المتوقع جعله يكرههما أكثر فهما في نظره قد قيّداه بذلك العقاب الّذي عوقب عليه دون سبب و أجبراه على البقاء أكثر، مما جعله يمارس سلطته و عنفه عليهم كلما رآهم، لقد اعتبرهم ذنوبا أثقلت كاهله فأراد سجنهم ليحاول محوهم من حياته، و لذلك لم يؤثّر فيه موت مريم، لكنّ فرار نورة أفسد جميع مخطّطاته.

خرج من البيت ليلا وهو يسترجع كلّ ذكريات الماضي، و كلّ أخطائه حتّى وجد نفسه عند بيت نورة و أمّها أراد طرق الباب، و لكنه تذكّر سابقا كيف كان يخيفهم عندما يعود ليلا، فقرّر الانتظار حتّى الصّباح و هو جالس عند الباب في يوم بارد، داعبته الرّياح الباردة، و لكنّه لم يشعر بها فقد كان شاردا.

ما إن فتحت نورة الباب صباحا لتتوجّه إلى عملها، وجدت والدها عنده ففزعت، نظر إليها وقال:" هل

مازال الفزع يعتريك كلّما رأيتني؟" احتارت نورة من وجوده عند الباب، ولكن من خلال صوته عرفت أنّه جاء نادما، جلست بالقرب منه بعد أن طردت الفزع و الخوف، صمتت قليلا ثم قالت:" هل بتّ هنا؟" قال:" نعم. لم أستطع الذّهاب قبل أن تسامحيني و أمّك، أنا نادم على كلّ شيء، أرجو أن تغفرا لي ما فعلت بكم." قالت:" لا تقلق كثيرا فأمّي مسامحتك دائما، ففي صمتها كان اعتراف بالمسامحة اتّجاهك، ادخل إليها كي تتأكد أنّ الزّوجة الّتي زوّجوها لك غصبا لطالما أحبّتك، وخافت عليك رغم الإساءة." قامت مواصلة قولها:" حسنا سأذهب إلى العمل لقد تأخّرت." قال لها:" وأنت ألن تسامحينني؟" قالت:" حتّى ولو سامحتك عن كلّ الضّرب الّذي اختفى أثره، و عن الدّموع الّتي توقّف سيلانها، فلن أسامحك على مريم الّتي دفنتها، لماذا لا تذهب و تطلب الصّفح منها؟ فلربّما تنهض من شدّة فزعها لرؤيتك أو استغرابها من حنانك يجعلها تعود للحياة... أنا لا أستطيع مسامحتك."

غادرت نورة باكية، كأنه أعاد اليوم الّذي عرفت فيه بوفاة أختها لتعيشه مرّة أخرى، قائلة في نفسها:" آه يا أختي لو أنّك لم تكوني تحت التّراب لتري ما أراه اليوم، أبي يطلب الصّفح، و به يواصل على قلبي أسلوبه في التّعذيب، عذاب شديد لفقدانك، فليته طلب الصّفح قبلا، قبل موتك يا مريم." أمّا حميدو فلأوّل مرّة يستطيع كلام نورة تحريك مشاعره، ولّد فيه جرحا عميقا، و شعر بحجم ذنبه الّذي اقترفه في حقّ مريم، دخل إلى طليقته ليطلب منها الصّفح فوجدها لا تحقد عليه، و إنّما طلبت هي الصّفح منه لأنّ الغلطة من البداية غلطتها، ثم اتّجه إلى قسم الشّرطة ليسلّم نفسه، فمسامحة الزّوجة الّتي عذّبها سنينا، و إغفال نورة عن إدخاله السّجن جعله يحاول معاقبة نفسه بالسّجن لعلّ ضميره قد يريحه قليلا.

مرّت الأيام مسرعة، كانت نورة تتحضّر للزّواج بخليل ، محاولة استقبال السّعادة معه ، السعادة الّتي انتظرتها كثيرا، و محو كلّ الذّكريات القاسية الّتي عاشها، ساعدها إخوتها كثيرا و أقاموا لها عرسا كبيرا، أكثروا لها الهدايا، كأنّهم يحاولون تعويضها

عن الفقر الّذي عاشته قبلا، أسعدها اهتمام فؤاد و
هشام أخواها، و هي الّتي تمنّت أن يكون لها أخ من
قبل قد وهبها القدر أخوين جعلها حبهما تصفح عن
والدها، فرغم كلّ شيء قد عوّضها عن موت مريم
بكنزة و فؤاد و هشام، و تسليمه لنفسه جعلها تتأكد
من تغير قلبه، و هكذا تزوجت نورة خليل و صالحت
بوجوده الدّنيا كلّها.